الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

قسم : الدراسات الأدبية والنقدية

تخصص أدب وحضارة عربية

مذكرة تخرج لنيل درجة الماستر

بعنـــوان:

تأثير أدب الرحلة في التقارب الحضاري

من إعداد الطالبة:

أوريبي أسماء

تحت إشراف الأستاذ:

* حاج علي عبد الرحمن

السنة الجامعية 2016-2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من سار معي منذ بداية الطريق حتى هذه اللحظة وكان دافعا لي لكل نجاح

إلى كل بذل من كل غالي ونفيس ليسعدني في هذه الحياة إلى مصدر الأمان

وراحة البال "والدي الحبيب"وإلى روح القلب ونبض الحنان إلى بلسم الجراح

من صبرت وكافحت معي في هذه الحياة إلى أعظم إنسانة في حياتي"والدتي

الحبيبة"إلي الذين أمر الله ببرهما و طاعتهما.

إلى شريك حياتي إلى من ساندني و منحني الثقة والإرادة في التقدم العلمي

الذي وصلت له بتوفيق من الله ثم بفضله زوجي الغالي و قرة عيني.

إلى أستاذي الفاضل"حاج علي عبد الرحمن"الذي كان لي نعم المشرف و قدم لي

يد العون بتوجيهاته و نصائحه و كان نعم المعين و السند.

إلى كل العائلة و الأهل و الأقارب و الزملاء.



أسماء

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين وصلى على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين.. وبعد:

- نشكر أولا و أخيرا سبحانه وتعالى على نعمته العظيمة ونحمده على فضله علينا بإتمام الدراسة ونرجو الله أن ينفع بها كل من يطلع
- كما أتوجه بالشكر والتقدير والاحترام إلى كل من أمدني بيد العون والمساعدة في انجاز هذه الرسالة وأخص بالذكر:
- الأستاذ المشرف على البحث "حاج علي عبد الرحمن" إليك يا من بزلت ولم تنتظر العطاء، إليك اهدي عبارات الشكر والتقدير.
- كما أتقدم بالشكر الخالص لكل من الزميلتين"فيروز" و "عائشة"
- اللتان كانتا سندا لي في إعداد البحث وإخراجه في ثوبه المميز فمني لكما كل الثناء والتقدير.



أسماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد:

إن ميل الإنسان إلى الفضول الاستطلاع وفهم اللآخر والرغبة الدفينة في التعرف على العالم الآخر قد دفعته منذ أقدم الأزمنة إلى الرحلات والتنقل فا ندفع من إقليمه إلى الأقاليم الأخرى المجاورة متأملا لكشف أفاقها والتطلع على عادات وطباع سواه من الشعوب والقبائل، فتلعب الرحلات دورا بارزا في بعضها البعض.

وهذا التطلع هو ما تم تجسيده في وعاء أدب الرحلة الذي يعد من تلك الأوان الأدبية التي ينقل فيه الرحالة ما عاينه وما صادفه من وقائع وأحداث وعادات وتقاليد وطبائع لدى أفراد المجتمع واصفا بذلك الأساليب عيشهم وكل ماله علاقة بهم.

لقد تمت رحلات المغاربية اتجاه المشرق، وتنوعت أهدافها ومقاصدها وتعددت بتعدد أسبابها وحوافزها مما أدى إلى الربط بين ثقافة المغرب والمشرق، وعلى إثر هذا عزمت بعد التوكل على الله أن يكون موضوع بحثي في رسالة الماستر تحت عنوان: "تأثير أدب الرحلة في التقارب الحضاري " نظرا لأهميته التي تتجلى في:

1. إبراز أهمية الرحلة ومكانته بين الفنون الأخرى.
2. إبراز المواضيع والمضامين المختلفة الأدب الرحلة المستقاة من التجربة الواقعية والمشاهدة الحقيقية.
3. دور أدب الرحلة في نقل صورة عن الآخر من ثقافة وعادات وتعزيز التواصل والعلاقة بين الشعوب بعضها ببعض.

ولقد حاولت من خلال الدراسة الإجابة عن بعض التساؤلات والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- ما ماهية أدب الرحلة وكيف نشأ هذا النوع من الأدب؟
- ما هي خصوصيات ومضامين أدب الرحلة؟

نظرا لرغبتي في الغوص في الموضوع والكشف عن خباياه اتبعت المنهج الوصفي وذلك لتوضيح ما رآه الرحالة من بلاد لأخرى، واصفا ما عاينوه من أحداث خاصة منها الوقائع غير المألوفة في مجتمع.

ولتقديم البحث في ثوب مميز فصلت خطة البحث، بحيث كانت بدايتها بمدخل تحت عنوان: الإنسان والرحلات منذ دأبه على وجه الأرض كما عرفت الرحلة وذكرت أنواعها ودواعي تدوينها هذا ما فتح لي المجال للفصل الأول الذي جاء بعنوان: أدب الرحلة الدوافع والقيم، تطرقت فيه إلى تعريف أدب الرحلة ونشأته لدى العرب والغربيين كذا تناولت فيه مواضيع أدب الرحلة ومضامينه وأغراض الكتابة فيه، مميزاته، وخصائصه أما الفصل الثاني كان تحت عنوان: جماليات الأسلوب وفنياته، تطرقت فيه إلى أسلوب كتابة الرحلة والنثر بنوعيه المقيد والمطلق، كما تعرضت إلى دراسة طبيعة اللغة في الرحلة وملائمة اللفظ للمعني والتصوير البديعي والمحسنات البديعية والمعنوية والعنونة والاستشهاد بالشعر وكأي بحث كانت النهاية بخاتمة حاولت فيه جمع أهم النتائج المتوصل إليها وما كان لعملي هذا ينجز إلا من خلال اعتمادي علي بعض المصادر والمراجع حيث كانت عونا لي لإتمامه نذكر منها:

- زكي محمد حسين الرحالة المسلمون في العصور الوسطي.
- حسني محمد حسين أدب الرحلة عند العرب.
- فؤاد قنديل أدب الرحلة في التراث العربي.
- شعيب حليفي الرحلة في الأدب العربي.
- ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

ولم يخل بحثي هذا من بعض الصعوبات التي تكمن في ندرة المصادر والمراجع، كذا لم يسعني الأمر التطرق إلى الموضوع من كافة جوانبه ذلك أنه موضوع واسع وشامل يحمل في طياته شتى المجالات ومختلف المضامين والمواضيع لذلك ما كان بوسعي التطرق إلى جميع عناصره.

وفي الأخير لا يسعني إلي أن أسأل أن يوفقني الله في هذا البحث كما أتقدم بالشكر إلي أستاذي المشرف الذي أسدى لهذا البحث عنايته بتوجيهاته الهامة ونصائحه الدائمة فكان لي نعم المشرف والله الموفق.

عرف الإنسان الرحلة أو الترحال والتنقل بفطرته التي جبل عليها منذ بدء الخليقة، منذ هبط آدم وحواء إلى الأرض محبا للحركة والتنقل أمده بالعقل الذي يدعوه لذلك "فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان، وقد هيأه الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته،تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها، وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى".[1]

إن تاريخ الإنسان إنما هو تاريخ لمحاولاته التعرف على العالم الخارجي من حوله ، ثم أخذ يناضل القوى الإنسانية، فتكونت القبيلة ثم تكونت الأمة واندفعت من إقليمها إلى الأقاليم المجاورة تكتشف آفاقا جديدة، وكل هذا يتجسد بفعل الرحلات وإن كانت في بدايتها ضيقة إلى أنها اتسعت مع مر الزمن، فالإنسان ولد راحلا متنقلا راغبا في اكتشاف الحقيقة، متطلعا بعينه إلى الآفاق البعيدة وعليه فإن الرحلة ساعدت على اكتشاف موطن الإنسان، أي كوكبه الأرض، كما أدت به إلى إدراكه مدى انتشاره في بقاعها، وأن البشر قد سلكوا مناحي مختلفة، وتعدد ألسنتهم إلى جانب تنوع طرائق حياتهم.[2]

كما كان بين الرحالة "رجال علم ودين، كان بينهم طوافون من هواة السفر والترحال، و آخرون استهوتهم المغامرة، و دفعتهم المخاطرة إلى كشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس".[3]

تعتبر الرحلات نبعا غنيا استقى ولا يزال يستقي منه الرحالة والكتاب والأدباء والشعراء مادتهم، فالرحلات تتيح الالتقاء ببيئات وطبائع وأجناس وأنماط ومفاهيم وعاداته لا عهد للمرء بها من قبل، وبالتالي فهي كرحيل وراء المعلوم والمجهول تترك أثارها على نفس المشاهد وقلمه.

إذن من خلال هذا نتطرق إلى تعريف الرحلة والذي يتطلب الإشارة إلى معنيين: اللغوي والاصطلاحي فمن الجانب اللغوي:

تعني الرحلة في المعنى اللغوي عند **الفيروز آبادي** "الرحلة بالضم أو الكسر، الارتحال، وبالضم الوجه الذي تقصده،والسفرة الواحدة، ورحلة:هضبة،ورحل:كمنع انتقل، وراحله عاونه على رحلته، واسترحله أن يرحل له، والرحول أو الترحالة أو الرحولة: الصالحة لأن ترحل، وأرحلها راضها فصارت راحلة".[4]

1. فؤاد قنديل ـ أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربية للكتاب القاهرة د.ط، ص 18
2. ينظر شوقي ضيف ـ الرحلات ـ دار المعارف ـ القاهرة الطبعة 4، د.ت ، ص 7
3. حسين محمد فهيم ـ أدب الرحلات ـ عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ع 138 الكويت د. ط،1989، ص11
4. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: المحيط ج 3، دار الجيل، بيروت، ط3، د.ت، ص309

وجاء في معجم العين رحل في معنى"الراحلة:المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى، ورَحَلتُ بعيري أرحله رحلا، وارتحل البعير رُحله أي سار فمضى ثم جرى في نقيض المحل، فقال الأعشى:إن مَحَلَا وإن مُرتًّحَلاً.

يريد إن ارتحالا وإن حلولا، وقد يكون المرتحل اسم الموضع الذي تحل فيه.

وترتحل القوم: وهو ارتحال في مهلة. ورحل الرجل ّ: منزله ومسكنه يقال إنه لخصيب الرحل".[1]

أما في معجم مقاييس اللغة "رحل:الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مُضى في سفر، يقال: رحل يرحل رحلة. وجملٌ رحيل: ذو رحلة،إذا كان قويا على الرّحلة.

والرحلة:الارتحال. فأما الرّحل في قولك:هذا رحل الرجل:لمنزله ومأواه.فهو من هذا،إنما يقال في السفر لأسبابه التي إذا سافر كانت معه،يرتحل بها، وإليها عند النزول هذا هو الأصل،ثم قيل لمأوى الرّجل في حضره هو رحله".[2]

وذكر أصحاب المعجم الوسيط عدة معان تحت مادة رحل حيث قالوا"الرحالة الكثير الرّحلة [و التاء للمبالغة]،الرَّحلُ:ما يوضع على ظهر البعيرللركوب، وكل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره ومسكن الإنسان، وما يستصحبه من الأثاث. ويقال حط فلان رحله، وألقى رحله:أقام. وبعير ذو رحلة: ذو قوة على السير.الرحلة:ما يرتحل إليه يقال:الكعبة رُحلة المسلمين، وأنتم رحلى.وعالم رُحلة:يرتحل إليه من الآفاق".[3]

---

1. الخليل بن أحمد الفراهدي، كتاب العين ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، ص106
2. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج2، دار الفكر، ص497
3. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،مصر، ط4، 2004م، ص335

يتجلى لنا من خلال ما سبق ذكره أن لفظة الرحلة،أخذت منحنى دالا على السير والتنقل،بالإضافة أن المعاجم لم تغفل الجانب الاجتماعي منها والذي يعني به ذكر الإبل باعتبارها أهم عنصر شكل طريق الرحلة.

أما إذا أردنا التدقيق أكثر في المنظومة اللغوية في مادة رحل يتجلى مدلولها ومرادفها في لفظة "سفر: كثرت السافرة بموضع كذا أي المسافرون قال: والسَّفر قطع المسافة، والجمع الأسفار. والمسفَرُ: الكثير الأسفار القوي عليها، قال:

لـــن يَعـــــدَم المَطـيُّ منـــيّ مسفَــــــرا   شَيـــخا يَحـــــالا،وغلامـــا حـــــزورا

والأنثى مسفرة. قال الأزهري: وسمي المسافر مسافرا لكشفه قناع الكنّ عن وجهه ومنازل الحَضَر عن مكانه، ومنزل الخفض عن نفسه، وبروزه إلى الأرض الفضاء، وسُمي السَفَر سَفَرا لأنّ يُسفرُ عن وجود المسافرين وأخلاقهم فيظهر ما كان خافيا منها".[1]

وجاءت الرحلة أيضا بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان الرحلة الارتحال والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم.

الرحلة نجد أنها جاءت بمعنى السير والانتقال أو المقصد الذي يراد السفر إليه وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل، ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر، ومنه أخذ لفظ رَحَّال: وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر، فالشخص الذي قام بالرحلة قد ترك موطنه، وانتقل إلى مكان آخر، وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار إليها. لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر. فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة.[2]

إذن اعتبرنا أن الحجم الذي تحتله مادة ما في معجم لغوي دليل على أهميتها، فإن مادة رحل "نالت اهتماما خاصا من "صاحب اللسان"، باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع، ونابعة من واقع البيئة

1. ابن منظور ـ لسان العرب، م4، مادة رحل، ص368
2. ينظر عواطف محمد يوسفبواب ـ الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، د.ط،1996، ص40 - 41.

العربية ويلاحظ على هذه المادة: أن مشتقات المادة جميعا تدور حول محور واحد هو الحركة، والرحلة في جوهرها حركة وانتقال".[1]

أما من الجانب الإصلاحي:فقد تنوعت وتعددت مفاهيمها، وما اتفق عليه أهل الأدب أنها تصب في قالب واحد، فقد كانت عند **أبي حامد الغزالي** في معنى "السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه، أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه".[2]

أما **صلاح الدين الشامي** يعرفها فيقول "أن الرحلة تظل إنجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر، اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه والمكان الذي تنتهي إليه".[3]

في حين يعرفها بطرس البستاني على أنها: "انتقال واحد أو جماعة، من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة".[4]

أما عند **المكناسي** فقد تطرق إليها في قوله: "هي لون من التأليف الذي يجمع بين الدافع العميق والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأناة دقيقة والبحث في الأسباب والنتائج ببصيرة واعية".[5]

إن التعريفات السابقة تجمع على أن الرحلة في جوهرها حركة، وهذه الحركة ذات هدف وإلا كانت سفها، قد لايتحقق،وسيتم في الحالتين كلتيهما اكتساب خبرات عملية وفكرية ناجمة عن المخالطة. وبذلك يتم التقابل بين الرحلة في اللغة والاصطلاح.

إضافة إلى هذا فقد برزت الرحلة أيضا "عندما ظهر الإسلام و أطل على الجزيرة العربية ونوره، كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة داعيا في مواضع عديدة إلى السفر والارتحال والضرب في الأرض نذكر من ذلك قوله سبحانه".[6]

1. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، 1990، ص23
2. أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1986م، ص 181
3. صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، ،1999م، ص 11
4. بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج 8، مطبعة المعارف، بيروت، د.ط،1884م، ص 564
5. محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فك الأسير، تحقيق محمد علي الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، دط، 1965م، ص1
6. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 29

"قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكّذبين".[1]

"و هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه وإليه النشور".[2]

"أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ".[3]

و"ترد كلمة الفلك في عدة آيات بما يدل إلى أن العرب كانوا على علم بها، لأنهم صنعوا السفن وأنجزوا وتاجروا واصطادوا من خيرات البحر".[4]

إنّ المتمعن للدين الإسلامي يجد أن من أهم رسائله للإنسان: الدعوة إلى الرحلة، بل وحفّز عليها، كونها تعود على الإنسان بمنافع كثيرة في حياتهم سواء العلمية أو العملية، حتى أن الله تعالى خفف عليهم بعض العبادات كالصلاة والصوم، دفعا للضرر والمشقة وتخفيفا من ويلات السفر، وأعباء الطريق، شرط أن تتم هذه الرحلات والأسفار في سبيل الله والوطن والعلم لمآرب ذاتية أو جماعية.

إذن الرحلة في كونها سر وحدة البشر فهي لا تقتصر على صقل الشخصية أو كشف المجهول بل تتعدى هذا لتجود بالمكاسب العلمية الأدبية، وعلى إثر هذا تختلف غايات الدارسين المحدثين من تناول الرحلات ومقاربتها لتنوعها وتداخل الحقول المعرفية فيها، من جغرافية، وتاريخ، وحضارة، واقتصاد، وأثنوغرافيا، وسيوسيوغرافيا، وأنثروبولوجيا، وفن وأدب...، وإن طغى في كثير البحوث ـ اتجاه يرى أن ارتباط الرحلة بالفن والأدب أكثر وضوحا، فتصنيفها ضمن الأجناس الأدبية له ما يبرره ويزكيه من صيغها التعبيرية وأساليبها الفنية، إلا أننا نرى أن ضمها لحقل معين وجنس مخصوص إهمال لطبيعة وخصوصية هذا النوع من الكتابة الذي يزخر بالمضامين والموضوعات العديدة علمية وأدبية و فنية، وبناؤه ومكوناته وعناصره، يتبع العادات والتقاليد والتأثيرات الإقليمية، ويحتوي على معارف وعلوم متعلقة بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والاجتماع والأدب.[5]

الرحلة تجمع بين شقين في المعنى الشق الأول وهو كون الرحلة وانتقال، والشق الثاني من المعنى فهو نثر وخطاب وتأليف أدبي فالرحلة كتابة من خلال "ما رواه الرحالة في أحاديثهم ومذكراتهم ومؤلفاتهم مما جعلها تأخذ سبلها إلى عالم الأدب بوصفها نموذجا أدبيا تتجلى" فيه القدرة على الوصف

1. سورة الأنعام، الآية [15]
2. سورة الملك، الآية [15]
3. سورة يوسف، الآية [109]
4. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص29
5. ينظر جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة ماجستير، جامعة خيضر بسكرة، 2015/2014، ص8-9

الدقيق، والتعبير الفني الصادق، كذا القيمة العلمية في احتواء معظم هذه الرحلات على الكثير من المعرفة التي تمت إلى علم الجغرافيا، وعلم التاريخ بأوثق الصلات، ففي الرحلات وأدبها صورا وافية ومعلومات دقيقة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والسياسية، وذكر المعالم الأثرية والعلاقات الاقتصادية ، ووصف البلدان والممالك والأصقاع والأقطار والمسالك".[1]

دوافع الرحلة:

تتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلات، وتختلف من شخص لآخر، ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد، إلا أنها أنماط لا تخرج عن أن تكون:

- **دافع الضرورة:** "فالإنسان عرف الرحلة منذ أن عرف الحياة على الأرض وحملته اليابسة، وارتبط بها وأحبها لما وفرته له من أمن واستقرار، لأنه قد تعرض لعارض يدفعه لهجر وطنه فيغادره، بحثا عن الكلأ والماء، وهروبا من مصيبة كظلم حاكم أو أمير، أو بأسا من المجتمع، وما قد حلّ به من حروب ونزاعات محلية، وظروف اجتماعية قاسية، وويلات ونكبات".[2]
- **العامل الديني:** يعتبر الحج من العوامل الأساسية التي تدفع الرحالة إلى شد رحاله إلى المشرق "ويمثل هذا العامل السبب الرئيسي والأول لأغلبية المتوجهين إلى المشرق الإسلامي فهو العامل الذي يقضي بشدّ الرحّال من كل حرب وصوب إلى الحجاز والأماكن المقدّسة،لأداء فريضة الحج، الواجبة على المسلم ما لم يعقه عائق من ضعف أو قلّة مال".[3]
    - قال تعالى: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق".[4]
- **العامل الثقافي:** إن أسباب الرحلة متعددة، "ولها صلة وثيقة بطابع الحضارة العربية الإسلامية، التي امتدت سيادتها على دنيا المشارق والمغارب وطبيعي أن تكون الرحلات والأسفار من أول السبل لطلب العلم في تلك العصور، ويلحظ أيضا أن العالم الثقافي مرتبط بالعامل الديني، فالدين نفسه يدعو إلى العلم والمعرفة، فقد حثّ الرسول عليه الصلاة والسلام على طلب العلم والرحلة في سبيله ومن ذلك قوله ﷺ: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم

---

1 . محمد أفرخاس، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، 2016، ص3
2 .نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2008، ص 21
3 .نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2008، ص 21.
4 .سورة الحج، الآية[27].

في بيت من بيوت الله يتكون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده".[1]

- وبغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذات صيت أبناءها في مجالات العلوم والفقه والهندسة وغيرها.
- **الدافع السياسي:** "كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غزو".[2]
- **الدافع السياحي:** "تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر وتحديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب".[3]
- **الدافع الاقتصادي:** "لم تقتصر الرحلة أيضا على أداء فريضة الحج، وهي الركن الخامس من أركان الإسلام وفريضة واجبة الأداء على المسلم مالم يعوقه عائق من ضعف صحة أو قلة مال، وإنما كانت التجارة علاوة على ذلك، ومنذ قدم الزمان، أمرا يقضي القيام بالرحلة والسفر البعيد ومع أن تجارة المسلمين في العصر الذهبي للدولة الإسلامية كانت قد بلغت شأنا لم تبلغه أي أمة قبل عصر الاكتشافات الجغرافية الأوروبية الحديثة، إلا أن الاجتهاد العربي كان قد أفلح منذ زمن بعيد في اختراق حاجز المسافة ناحية الشرق، وفي انتظام الرحلة العربية في المحيط الهندي".[4]
- **الرحلة الإدارية:** ويدخل في باب التكليف بالرحلة الحاجة أيضا إلى "المعلومات والبيانات عن البلدان والشعوب التي امتد إليها الإسلام، وأصبحت جزء من عالمه، لقد اقتضت ضرورة الحكم والإدارة، وتقدير الثروات وحجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجميع البيانات والحقائق، وتقديم التقارير، وسواء أطلق على هذا النشاط صفة (الجغرافية الإدارية) أو (كتابة تواريخ الأقاليم)، فقد لعبت الرحلات دورا هاما في أدائه".[5]
- **الدافع الصحي:** كالسفر للعلاج أو الاستشفاء، أو "إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث وأيا ما كان

1 .نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، ط1، 2007، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ص30
2 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص19
3 .نفس المرجع، ص20
4 .حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص80
5 . المرجع نفسه، ص81

الغرض من الرحلة فإنها في أغلب الأحوال سلوك إنساني حضاري، يؤتى ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليس الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها".[1]

- مما سبق ذكره يتجلى لنا بأن الرحلة بشكل عام مدرسة تثقيفية في حياة الفرد وحياة المجتمعات، وإن تعددت وتنوعت أغراضها ودافعها إلا أن بفضلها يمكن للفرد أن يطلع على كل خبايا وأسرار الكون من جهة كما يمكنه من خلالها أن يتعرف على ثقافات غيره وعادات و تقاليد، وقيم وديانات المجتمعات ويميز بينها.

دواعي تدوين الرحلة:

إذا كان الرحالة يزور بلدانا وأمما، فيتعرف من خلال رحلته هذه على مختلف مظاهر البلاد التي زارها (الدينية والاجتماعية، والثقافية...) فما أهمية تدوينه لهذه الرحلة؟ وبعبارة أخرى، ما الذي يدفع الرحالة إلى سرد أحداث رحلته ونقلها إلى القارئ؟ تجيب سميرة أتساعده على هذه الأسئلة في النقاط التالية:

1. تلبية رغبة الآخرين من حكام، وأصدقاء أو أقرباء، بتدوين الرحلة وإمتاعهم بالإطلاع على ما أثار إعجاب الرحالة ودهشته، وفرحته وحزنه...
2. تقديم معلومات ثرية للقارئ عن المعارف والعلوم، والتعريف بالإعلام ومؤلفاتهم.
3. التعريف بالبلدان والممالك التي زارها، وتحديد الطرق والمسالك، وتبين مواقع الخطر والمشقة، حتى يستفيد الآخرون منها.
4. سرد أخبار الأمم والأقوام ـ ماضيها وحاضرها ـ من عادات وتقاليد وطقوس...
5. التأريخ للأحداث المتنوعة وتقديم معلومات سياسية واقتصادية... عن البلدان المقصودة في الزيادة.
6. رغبة المشاركة في أدب الرحلات عن الرحالة وتدوين أخبار رحلته على منوال ما دونه السابقون من أمثال المسعودي وابن بطوطة.
7. الدعوة إلى تغيير الجو والاحتكاك بالآخر والانفتاح عليه[2] قدم الرحالة مساهمات واضحة في التراث العلمي والثقافي حيث رصدوا أحوال الناس، ووصفوا بعين بصيرة ما يزورون من بلدان، ومن هنا كانت الخصوصية التي تتجسد في التواصل بين الشرق والعالم الإسلامي وغربه مما يضفي عليه الشمول، فقد نقل الرحالة جوانب مضيئة تتصف بالدقة أحيانا عن بلدان المشرق والمغرب، ولاسيما

1 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي،ص20 -21
2 .ينظر سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني، مجلة التراث العربي: مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، س24، آذار2005، ص34-35-36

أن الرحالة كانوا أكثر شغف بالرحلة من غيرهم، الأمر الذي أتاح لهم أن يسجلوا انطباعاتهم ويصفوا مشاهداتهم ينقلوها بصورة حية للناس .

إن الرحلات الأندلسية والمغربية كثيرة غير أن ما وصلنا منها قليل، إذ ما قيس بالإشارات الواردة في المصادر التي رصدت عظم الدور التي قام بها الرحالة الأندلسيون والمغاربة، خدمة للعلم، وتعريفا بالملامح الإنسانية والثقافية والاجتماعية والجغرافية للأماكن التي حلوا بها. فالرحلة تعكس النهضة والحضارة العربية وهي إلى جانب ذلك تقدم لنا صورة للآخر، لتثير فينا الشعور بالمنافسة والرغبة بالتفوق.[1]

وعلى ضوء هذا فما نقله الرحالة وما قالوه عن الأندلس ورصد بعض من الملامح البيئية لديهم، يتجسد ذلك في قول ابن سعيد في المغرب ما نصه: قواعد من كتاب *الشهب الثاقبة في الإنصاف بين المشارقة والمغاربة*، "أول ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالأندلس، فتقول:إنها مع ما بأيدي عباد الصليب منها أعظم سلطنة كثرت ممالكها، وشعبت في وجوه الاستظهار للسلطان إعانتها،وتدع كلاما في هذا الشأن، وتنقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها في المائة الرابعة، وذلك أنه لما وصفها قال: وأما جزيرة الأندلس فجزيرة كبيرة، طولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثم، والرخص والسعة في الأحوال من الدقيق الفاخر والخصب الظاهر، إلى أسباب تملك الفاشية فيها، وكما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته، يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤو نتهم وصلاح معاشهم وبلادهم".[2]

بعد أن استولى الإسبان المسيحيون على كثير من البلاد الأندلسية، وسيطروا على قرطبة مرسيه وطليطلة وبلنسيه وغيرها من المراكز التي انتشر فيها سلطان أعداء الإسلام، بقيت مملكة غرناطة آخر المعاقل الأندلسية تعيش أيامها العصبية خلال القرن الهجري التاسع بعد أن ودعت عهد الأمن والاستقرار والسلم النسبي الذي تمتعت به حينا في أواخر القرن الثامن.

وكانت هذه المملكة تؤدي الأندلسيين المهاجرين من القواعد التي سقطت،وهم الذين أبوا أن يتحملوا الضيم ويضحوا بعقيدتهم، ويساوموا بدينهم،في ظل الحكم الإسباني الهادف إلى القضاء على مقوماتهم، ولهذا قد ازدحم السكان في هذه الرقعة الإسلامية الواقعة بين الوادي الكبير، والبحر والغنية بثرواتها ومواردها الطبيعية وأراضيها الخصبة: حيث كانت تنتج أنواعها من الحبوب والثمار والفواكه

1 .نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية المغربية (حتى نهاية القرن التاسع هجري)، ص 30
2 .أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج 1، ص 210-211

وتضم بعض المعادن، وتنتصب في جنوبها بعض الموانئ والثغور التي تنشط بها الحركة التجارية وخاصة مع مملكة جنوة.

وورثت مملكة غرناطة كثيرا من الصناعات المزدهرة عند الأندلسيين مثل صناعة الأسلحة التي مكنتها من مواصلة الدفاع، وصناعة الحرير الذي تصدر منه كميات كبيرة إلى فلورنس، وصناعة الخزف الذي تصنع منه الأواني الجميلة، وصناعة الورق التي برع فيها أهل الأندلس.[1]

وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم، فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، يكرم في جوار أو ابتياع حاجة، وما أشبه ذلك.

وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم.[2]

ما يقال عن الأندلس يقال أيضا عن المغرب الشقيق الذي ربط مصيره وإمكانياته وأهدافه بالأندلس منذ البداية، فأعد شعبه ليكون محاربا وقد ترسبت في قرارة نفسه فكرة الجهاد، حتى صارت جزءا من كيانه. لهذا يقرن المغرب دائما بالأندلس في جميع الأحداث السياسية والحربية والثقافية التي مرت بالمغرب الإسلامي في مختلف العصور.

ويعتبر جبل طارق قاعدة الوصل بين المغرب والأندلس، ويقع هذا الجبل في أقصى جنوب إسبانيا، ويبلغ ارتفاع بعض أجزائه حوالي 438 مترا.[3]

1 .أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، ص17 -18
2 .أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص220 -221
3 . ينظر أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط،1971، ص229

- **تعريف أدب الرحلة:**

أدب الرحلات باب من أبواب التاريخ والأدب يحتاج إلى إبراز مكنوناته وجواهره الثمينة، بحيث دون فيه الأوائل للأسفار، وسردوا فيه مشاهداتهم، ومعايناتهم للبلدان المزورة ومكنوناتها وأسرارها وخباياها، وما تسخر به من معارف وعلوم.

وهو فن له خصائصه المعينة بل إنه كما يقول السيد حامد النساج "هو ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعا أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز في لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة".[1]

وقد عرفه ناصر عبد الرزاق الموافي في كتابه الرحلة في الأدب العربي: "ذلك النثر الذي يصف رحلة ـ رحلات ـ واقعية، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات ولموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، يهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه"[2]، وقد جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب أن أدب الرحلة هو: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد".[3]

أدب الرحلة في وجهة نظر مجدي وهبة هي تلك النصوص والكتابات التي تحمل في مضمونها رحلات واقعية وأحداث ومشاهدات حقيقية قام بها الرحالة إلى مكان أو بلد ما بحيث تمثل الرحلة في هذا النوع من الأدب الموضوع الرئيسي وتصبح الذات هي المسيطرة فيه، ذلك أن الرحالة وهو يجوب مختلف الأقاليم يتأثر بها بما يلاحظه ويسمعه من مظاهر مختلفة.

يعتبر أدب الرحلات واحدا من أجمل أنواع الأدب، إذ أنه يعكس ويوثق كل ما صادف الرحالة عبر رحلاته كلها وعلى إثر هذا يعتبره سعيد بن سعيد العلوي بأنه "جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتميزه عن الأجناس الأدبية كونه خطاب مخصوص له منطقه الذاتي وبناؤه ومكوناته وعناصره، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه، الإمتاع عند رصده ما هو عجيب

1 .السيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية ـ مجلة العربي، كويت، يناير 1987، ص113
2 .ناصر عبد الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص 41
3 .مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1944م ـ1984م، ص 7

فالرحالة يتقمص شخصية السارد أو القاص"[1] أما إنجيل بطرس يعرفه فيقول "أدب الرحلات إذا هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفا لها، ويسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب"[2] وتتحدث أسماء أبو بكر عن نص الرحلة فتقول "فن من فنون القول العربي، يصف مجالات الحياة عند الرحالة الذي سجل رحلته، أو حكاها لغيره ثم سجلها".[3]

تطرقت عواطف محمد يوسف نواب إلى أدب الرحلة والرحالة "الشخص الذي قام بالرحلة، قد ترك موطنه وانتقل إلى مكان آخر، وسافر من موطنه وقد قصد جهة أخرى عن موطنه وسار إليها لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر، فالرحالة صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة "[4] وهنا ربطت عواطف محمد يوسف نواب أدب الرحلة بالرحالة كونه هو الذي صنع هذا الأدب، وكان سبب وجوده ذلك أن لولا مغادرة هذا الشخص الذي سمته "الرحالة"مكانه وسافر إلى بلد آخر، وسجل انطباعاته ومغامراته لما وجد أدب الرحلة، بحيث ربطت أدب الرحلة بالرحالة كون هذا الأخير هو الذي كان الدافع في وجود بواعث أدب الرحلة.

أما نبيل راغب يقول عن أدب الرحلة "كانت البدايات الأولى لأدب الرحلات في الانطباعات والملاحظات التي سجلها الرحالة الأوائل في رحلاتهم ومغامراتهم المختلفة، وغالبا ما كانت هذه الملاحظات على شكل مواقف أو أحاديث، تنتقل شفاهة من لسان إلى آخر دون مسؤولية محددة عن السرد و بمرور الوقت تحولت هذه الأحاديث البدائية إلى نوع من الأدب الذي يحمل سمات مميزة يعرف بها بين جماهير القراء".[5]

ويعرفه عبد الباسط بدر بقوله: "ذلك التأليف النثري المطول الذي يتحدث الأديب فيه عن رحلة تجشم مشاقها، ومر خلالها بمدن وقرى، وعبر جبالا و أودية وصحاري، وواجه أحداثا، ولقى مفاجآت وغرائب لا يعرفها في بيئته"[6]، والمقصود هنا أن أدب الرحلة هو تلك الروايات المطولة للأحداث والوقائع بكل تفاصيلها, حيث يملي علينا الأديب أو الرحالة ما صادفه من أشياء وما شاهده في المدن والبلدان الأخرى التي قصدها أو مر بها على غرار ما يوجد في بيئته.

1 .ينظر، سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة مطبعة النجاح الجديدة, الدارالبيضاء، المغرب، ط1، 1995، ص 14
2 .انجيل بطرس، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، ع7، 1975، ص 52
3 .أسماء أبو بكر، ابن بطوطة الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص 14
4 .عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية ص 41
5 .نبيل راغب، أدبالرحلات، مجلة الفيصل ع88، الرياض، المملكة العربية السعودية "تموز" 1984، ص 71
6 .مجلة الأدب الإسلامي، العدد3، ربيع الأول، 415ه، ص 12

عرفته الموسوعة العربية العالمية "هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلته قام بها لأحد البلدان"[1]، وهنا تعريف الموسوعة يحددا لرحلة بأدبية أسلوبها مما يخرجها ويميزها عن الرحلات الأخرى .

أما عند المسعودي "أدب الرحلات هو ما تستمد منه الجغرافية واقعيتها ويغير الرحلة لا تعبر الجغرافية عن الحقيقة "[2] ذلك أن الجغرافية تستمد مادتها الوفيرة والغزيرة ومعارفها من أدب الرحلات، وفي كون الرحلة تقدم كل ما هو واقعي وحي والرحالة يعرض ما يشاهده فتأتي الصورة موحية وثمينة، فارتبطت عند المسعودي المعارف الجغرافية بالرحلات.

بينما يعرف حسني محمد حسين أدب الرحلة أنه نمط تعبيري "يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب"[3]، ويمكن القول بأن هذا النمط "قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة، وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها"[4]، بناءا على هذا التعريف نجد أن أدب الرحلة مادة متعددة الجوانب, فهو الفن الذي تنصهر فيه مجموعة من الخطابات الأدبية لتتزاوج فيما بينها، وهذا ما يذهب إليه مؤرخ الأدب الجغرافي فيقول "لقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي، وتارة شعبي وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة".[5]

أما عند شوقي ضيف فيقول "لا تبالغ إذا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، تتضمن هذه المغامرات كثيرا من المعلومات عن البحار وحيواناتها وأسماكها وأصدافها والأقوام الذين يسكنون على الشواطئ، يصاغ ذلك في أسلوب قصصي بديع، يؤكد الواقع أحيانا، وينشئ لنا عوالم خيالية أحيانا أخرى".[6]

1 .الموسوعة العربية العالمية، ج 11، ص 136
2 .عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق، من الأدب الجغرافي في التراث العربي منشأة العارف، الإسكندرية، د ط، 1415 ه/1995 م، ص 11
3 .حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983، ص 6
4 .المرجع نفسه، ص9
5 .أغناطيوس كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ج ، 1ص 7
6 .شوقي ضيف، الرحلات، ص 5

وهنا في هذا التعريف الذي قدمه هذا الأديب لأدب الرحلة، اعتمد على الطريقة التي يدون بها الرحال رحلته، فهو قد ربط بين أدب الرحلة وفن القصة جاعلا منه "خير رد على التهمة التي لطالما أتهم هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة".[1]

كما يوجد من يرى أن "الرحلة ثنائية الكلام الأدبي والكلام غير الأدبي عاكسة بذلك حوارا بوعي أو بدون وعي تبين أنماط الكلام الذي امتزج فيه العامي بالفصيح الدخيل بالأصيل، العلمي بالأدبي، التاريخي بالجغرافي، السياسي بالإيديولوجي المقدس بالمدنس، السردي بالوصفي، المكتوب بالمرسوم، المسموع بالمرئي".[2]

وهذا يفرض على صاحب هذه المرحلة، أن يكون له زاد ثقافي وعلمي وأدبي، يساعده على نقل الرحلة من الحركة والانتقال والمشاهدة إلى الكتابة ذات الملامح الفنية لتصبح بعد ذلك خطايا تتمظهر فيه عناصر جمالية، تضفي عليه صفة الأدبية التي تضمن له البقاء.

قد جاء في أحد المعاجم أن أدب الرحلات "هو أدب يدخل في درس الصورولوجية أي دراسة صورة شعب عند شعب آخر، ويتبع أدب الرحلات عادات تقاليد وتأثيرات إقليمية".[3]

أما حسين محمد فهيم يتطرق إليه "أما أدب الرحلات فو رواية التفاعل بين الذات والآخر، والذي يترك فيه للرحالة حرية التعبير الكاملة، و أن يطرق من الموضوعات ما يراه هاما أو شيقا".[4]

حسين محمد فهيم في هذا التعريف يريد الوصول إلى مقصود غايته أن أدب الرحلات انصهار بين الذات التي تعيش الأحداث بهفاوة وهي الروح الحساسة التي تروي ما عاينته في هذه السفرات والرحلات وبين الآخر سواء كان بيئة أو أشخاص التي تأثرت بهم الذات، كما يفسح المجال في هذا النوع من الأدب إلى الشخص الذي قام بالرحلة، بحرية التعبير والانتقاء من الموضوعات ما هو مهم ومميز ويقدمها بصورته ورؤيته هو لعل وعسى يقدمها في أسلوب شيق ومريع، بحيث يمكن للقارئ من معايشة اللحظة وكأنه هو الرحالة بنفسه.

1 .المرجع نفسه، ص 5
2 .عبد الرحيم مودن الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، ط1، 2006، ص40
3 .سعيد علوش، معجم المصطلحات العربية المعاصرة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1405ه/1985م، ص 98
4 .حسين محمد فهيم ـأدب الرحلات، ص 63

"وصف الرحلات وقيمتها متأتية من أنها تصور لنا تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه، والانطباعات التي تركها في نفسه، ناسه و حيوانه ومشاهده الطبيعية وآثاره فهي بهذا مغامرة ممتعة تقوم بها روح حساسة في أمكنة جديدة وبين أناس لم يكن لها بهم سابق عهد".[1]

ومن خلال هذه التعريفات يمثل "أدب الرحلة" لونا أدبيا له بواعثه وخصائصه وأهدافه، ومواضعه التي تميزه عن باقي الأنواع الأخرى، ذلك لارتباطه بصلب موضوعه، ومضامين متنه، فهو الأدب الذي يستقي معارفه من الرحلة، كما أنه ولد عبر تدوين الرحالة لقصصهم ومشاهداتهم للبلدان التي زاروها والغرائب التي شاهدوها فهو ذلك الأدب الذي جعل ضالته الوحيدة هي الرحلة.

من خلال عملية القراءة للعديد من الرحلات والبحث في الكتب التي تناولتها، وجد أن الدارسين وظفوا العديد من التسميات قصدوا بها الرحلة ونعتوها بها، يمكن إجمالها:

أ. **الجغرافيا الوصفية:** الجغرافيا هي علم تمكن من التعرف على المكان الذي يعيش فيه الإنسان، فهي ذلك العلم الذي يسمح بدراسة سطح الأرض وما عليه من أنهار وبحار ووديان وجبال وسهول وتلال وظواهر طبيعية... وهي في الأصل "دراسة ميدانية قبل كل شيء، وميدانها سطح الأرض، وما يتصل به من معالم وظواهر".[2]

قديما ما كان للإنسان أن يصف أو يقف على هذه الأرض المترامية الأطراف إلا من خلال الحضور المادي والفعلي، الذي لا يتحقق إلا بالانتقال والرحلة التي تسمح له بأن يتواجد في مختلف الأمصار والأقطار، وفي القديم كما هو معلوم كان "بعض المؤرخين والجغرافيين العرب، يعتبرون رحالين، إذ كانوا يجمعون مواد موضوعاتهم عن طريق الرحلة".[3]

وهنا نجد العلاقة الوطيدة بين الرحلة والجغرافيا، والتداخل الذي بينهما، فالعامل المشترك بينهما يتمركز فيه المكان كأساس لا يمكن الاستغناء عنه، إذ لا رحلة ولا جغرافيا يمكن أن تتصور لهما وجودا دون مكان "ففي مجال الكشف الجغرافي، ووصف الأقاليم، لعبت الرحلة دورا كبيرا فيما تضمنته تلك الأعمال من معرفة وبيان، أضحيا الآن تراثا تفخر بها الأمة العربية الإسلامية".[4]

1 .محمد يوسف نجم، فن المقالة،دار الثقافة، د ط، بيروت، 1966، ص 115
2 .جريفيت وتايلور وآخرون، الجغرافيا في القرن العشرين، ترجمة محمد السيد غلاب ومحمد مرسي القاهرة، 1974، ط2 ص71
3 .حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص7
4 .حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص95

يطلق على الجغرافيا الوصفية كذلك اسم "علم المسالك والممالك" بحيث أصبحت تصنف كتب هذا العلم ضمن دائرة الرحلات، كما نجد أن بعض الدارسين يعتبرون أن الرحلة "تنتمي إلى الأدب الجغرافي الذي تداخل فيه المسالك والممالك ومعاجم البلدان بخرائط المدر والحضر".[1]

أما البداية الأولى للجغرافيا الوصفية كانت في نهاية القرن الثامن ميلادي (2ه) وبداية القرن التاسع ميلادي (3ه) "على أيدي اللغويين ولكن نافسهم في هذا المجال المؤرخون الجغرافيون في المغرب العربي بكتابة الجغرافية الوصفية وكان في مقدمتهم الرازي (ق4ه -10م) الذي وضع قواعد علمي التاريخ والجغرافية الوصفية معا، وبمرور الزمن نجد أن أدباء وعلماء أسهموا في إثراء المعرفة الجغرافية الإسلامية دون أن يكونوا هم أنفسهم جغرافيين... فالجاحظ أعظم الأدباء والمثقفين على زمانه ضمن كتبه كثيرا من المعارف الجغرافية بل إنه أصدر كتابا في الجغرافيا الإقليمية اسماه كتاب "البلدان".[2]

إلا أن الجغرافيا الوصفية "تقف على النقيض من أدب الرحلات، ذلك أنها تهدف إلى الوصف الجغرافي العلمي أساسا، مستخدمة منهج العلم وأسلوبه دون أن يكون لهذا الأسلوب خصائص أدبية... كل التركيز على توصيل المعلومات توصيلا مباشرا لا تراعي فيه النواحي الجمالية أو الذاتية".[3]

إذن الجغرافية الوصفية تسعى إلى تقديم المعلومات الجغرافية تقديما علميا وبطريقة موضوعية، تخفي فيها الجوانب الجمالية (الأدبية).

ب. **الأدب الجغرافي:** يعد الأدب الجغرافي ذلك الأدب الذي يهتم بوصف العوالم وما يتصل بها من "عادات الأمم وطباعها وما بديارها من آثار وعجائب... يعتمد على المشاهدة وحكاية ما رآه الجغرافي"[4]، كان أسس علم الجغرافيا من خلال تعرف العرب على مصنفات **بطليموس**، ليشرع بعد ذلك العرب في التأليف الجغرافي بوصف دولتهم الممتدة "من الهند وحدود الصين إلى إسبانيا وجبال البرانس، ومن القوقاز وآسيا الصغرى إلى السودان ومجاهل إفريقية"[5]، **وكان** ذلك من خلال القرن الرابع الهجري (10م)، هذا القرن الذي بلغ فيه "الأدب الجغرافي أوجه في مجال تطوره الخلاق كحركة مستقلة قائمة بذاتها وهو يذخر بمصنفات هامة في محيط الجغرافيا الإقليمية، غير أن الإنتاج الأدبي فيه لم يقف عند هذا الحد فقد تم في هذا القرن أيضا تشكيل ما

1 .عبد الرحيم مودن، أدبية الرحلة، ص12
2 .عبد الفتاح محمد مهيبة، مكانة الجغرافيا في الثقافة الإسلامية، دار الأحد بيروت، د ط 1979، ص8- ص9
3 .ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص36
4 .شوقي ضيف، الرحلات، ص11- ص12.
5 .المرجع نفسه، ص11

يسمى "بالمدرسة الكلاسيكية" للجغرافيا العربية (...) وقد بلغ عدد الرحالة في هذا القرن حدا كبيرا".[1]

يحمل الأدب الجغرافي في طياته أسلوب يزاوج بين تقديم المعلومة والفنية في الطرح فهو "من ناحية يولي وجهه شطر العلوم، أعني العلوم الدقيقة وذلك بالمعنى الذي تفهمه حاليا... ومن ناحية أخرى فهو يولي وجهه شطر الأدب الفني بالغا ببعض أثاره فهذا المجال ذروة الإبداع".[2]

إن الأدب الجغرافي يتبع "المنهج العلمي، ولكن بأسلوب أدبي بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، وبحيث تظل شخصية الرحال بين آن وآخر، لتقيم نوعا من التوازن بين الموضوع والذات، وبحيث يتعلم القارئ، ويستمتع في آن، إنها ازدواجية تهدف إلى التقديم غير المباشر للمعلومة، أو لتحقيق حدها وجفافها، بحيث لا يمل القارئ".[3]

بعد أن تعرفنا على ماهية ومفهوم كل مصطلح والخصائص التي يتفرد بها، فإنه بإمكاننا أن ندرك نوع النص إذا ما كان النص يصنف في أدب الرحلة أو الجغرافيا الوصفية أو ضمن الأدب الجغرافي "إذا اختفت العناصر الأدبية و الذاتية ـ أو نذرت صنف النص على أنه جغرافيا وصفية، وإذ حاول الرحال أن يوازن بين الموضوع والذات فإنه عمله يصنف على أنه أدب جغرافي، أما إذا طغت العناصر الأدبية الذاتية فإن عمله يصنف على أنه أدب رحلة يتتبع خط سير الرحلة".[4]

- **نشأة أدب الرحلة:**

أ. عند العرب:

شكلت الرحلة اللحظة الأكثر انفتاحا وانطلاقا في المعرفة العربية عن الآخر لأنها اتخذت من التجربة والمشاهدة المباشرة، أساسا لتدوينها ووصفها فكتب الرحلات إذن عقد نفيس في جيد التاريخ، وغرة ناصعة في حقق المكتبات، هذه الكتب تعتبر مرجعا مهما ومصدرا للمعلومات التاريخية، لذلك "زاد الوعي بالرحلة نصا وخطابا... وقد تراوح الوعي بالرحلة عند الرحالة الذين نقلوا تجاربهم الرحلية بشكل فردي أو جماعي، برغبة أو بدونها، في مهمة للغير أو لحسابهم الخاص، ضمن مؤلفات مستقلة بين الوضوح والالتباس في المعرفة بالشكل والقالب الذي يسجل فيه رحلته"[5]، نظرا لهذا الوعي اهتم

1 .غناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج 2، ص190
2 .لبنى لونانسة، النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين 7 و8 ه، مذكرة ماجستير جامعة، باتنة، 2014/2013، نقلا عن اغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب، ص18
3 .ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص37
4 .المرجع نفسه، ص35
5 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص46

العرب بأدب الرحلات منذ القدم، وكانت عنايتهم به عظيمة في سائر العصور **"**انطلقت الرحلات شرقا وغربا منذ القرن الثالث حتى الثامن للهجرة، بلا توقف تقريبا، حين تمكن الرحالة من تدوين كل ما رأوه في كل أنحاء العالم المعمور آنذاك**"**[1] وهذا ما يؤكد عليه شوقي ضيف أن القرن الثالث كان بداية القرن التاريخ لتدوين الرحلات كفن قائم بذاته يقول في ذلك**"** ولم يدون العرب أخبار الرحالة الأوائل، ولكننا لا نصل إلى القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) ونقرأ كتبهم الجغرافية والتاريخية حتى نجدهم قد عرفوا معرفة دقيقة أخبار الأمم من حولهم، مما يدل على كثرة الراحلين والسائحين**".**[2]

فكان العرب روادا عظاما في مجال أدب الرحلات، وأولوه اهتماما كبيرا، كما تألق في هذا الدرب رجال كثر **"**عرف العرب كتب التقاويم والبلدان منذ المراحل الأولى للتأليف**"**[3]**، وإذا** تتبعنا مسار أدب الرحلة في الأدب العربي نجد أن الإرهاصات الأولى لهذا الفن كانت منذ القرن الثالث على يد **أبي العباس أحمد ب يعقوب** المعروف باليعقوبي من خلال كتابه **"البلدان"** الذي يعد كتابا ممتعا تاريخيا وجغرافيا على يد رحالة عالم بالأسفار وبأخبار الأمم السالفة **"**لأمانته العلمية ودقته وابتعاده عن الغرائب والعجائب قام برحلات كثيرة امتدت شرقا إلى الهند وبلغت أقساها غربا برحلته إلى بلاد المغارب والأندلس**".**[4]

وإلى جانب اليعقوبي شهد هذا القرن رحالين آخرين نذكر منهم، **محمد بن موسى بن المنجم بن وهب القرشي، ابن رسته، وسلام الترجمان** الذي يقال أن **"**أمره الخليفة الواثق227ه/ 841م بأن يذهب إلى حصون جبال القوقاز، للبحث عن سد الصين الكبير الذي يقال عن الإسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج**".**[5]

والتي وصفها **زكي محمد حسين** بقوله **"**إن رحلة سلام الترجمان إلى الصين الشمالي قد تكون حقيقة تاريخية**"**[6]، فضلا عن رحلة **سليمان التاجر**، وكتاب**"المسالك والممالك"**لابن ثم كتاب **"الخراج"لقدامة بن جعفر**، الذي بين فيه الطرق والمسافات وكيفية جباية الضرائب، وضمنه أخبارا كثيرا تتعلق بأحوال الدولة والبلاد المجاورة لها**".**[7]

---

1 .محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، دار الكتب، الوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1428ه/2007م، ص17
2 .شوقي ضيف، الرحلات، ص49
3 .محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص55
4 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص117
5 .سيد حامد النساج، مشوار الكتب الرحلة(قديما و حديثا)، مكتبة غريب، القاهرة د .ط ، ص12
6 .زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت 1981م، ص15
7 .سيد حامد النساج، مشوار الكتب الرحلة (قديما وحديثا)، ص10

أما إذا انتقلنا إلى القرن الرابع هجري، والذي يعد من أزهى الفترات، بحيث عرف فيه هذا الفن نضجا كبيرا يقول **حسني محمد حسين** "ونحن إذا أردنا أن نعرض ملامح من هذه المؤلفات على مر العصور وفإننا نجد أن القرن العاشر ميلادي يمثل من خذه الناحية فترة النضج التام، فقد زخر بمصنفات مهمة بلغت أوج التطور الخلاف كحركة مستقلة قائمة بذاتها"[1]، ومن الذين يجسدون ذلك في كتاباتهم **الطبري** "الذي تكتمل لديه مرحلة نضوج البدايات، والتكوين للكتابة التاريخية، وقد اعتمد **الطبري** على ثقافته الواسعة ومنهجه كمحدث وفقيه يدقق في السند ويمحص الروايات"[2]، **إلا** أننا في هذا القرن سنسجل رحلات بارزة، وظهور رحالة كبار من أهمهم **المسعودي** الذي ألف **"مروج النهب" و "معادن الجوهر"** يقول في سبب تأليفه لهذا الكتاب "فإننا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان، وقدمنا القول فيه في هيئة الأرض، ومدنها وعجائبها، وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها، وبدائع معادنها، وأصناف مناهلها وأخبار غياضها، وجزائر البحار والبحيرات الصغار وأخبار الأبنية المعظمة والمساكن المشرفة، وذكر شأن المبدأ، وأصل النسل ...".[3]

لقد ضرب **المسعودي** بينهم في شتى ميادين المعرفة وخلف لنا تراثا قيما، كما أولى اهتماما بالغا بالرحلة كونه أدرك مدى أهميتها، الأمر الذي جعله يعد منافعها "فليس من لزم جهته وطنه وقنع بها نمي إليه من الأخبار عن إقليمه، كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه وإثارة كل نفيس من مكمنه"[4]. وكتاب **المسعودي** هو حصيلة الرحلات التي قام بها خلال سنين مسجلا كل ما شاهده وعاينه، إلا أن ما يلاحظ على رحلاته أنه "قد يصعب على القارئ أن يتبين متى ارتحل، وأين نزل ؟فضلا على أنه ليس من السهولة بمكان تحديد أي أقطار قطعها وأي بحار ركبها فعلا لا قولا"[5]، فضلا عن رحالة آخرين ك**ابن فضلان** الذي اتصف بسلامة الأسلوب ودقة التعبير يقول **فؤاد قنديل** في ذلك "لتحليل دروس رحلته التي سجلها في رسالة صافية، تؤكد موهبته القصصية وتكشف براعة قلمه وحسن بيانه وسلامة أسلوبه ودقته في التعبير والوصف، وحرصه على نقل مشاعره في حالات الفرح والغبطة أو الخوف والجزع، وهو ما يخلع عن الرسالة سمات إنسانية عذبة تجعل منها نموذجا رائدا ورائعا من نماذج الكتابة في أدب الرحلات"[6]، إذ تعتبر بلا شك إحدى أزهر الكتابات والمدونات في القرن الرابع هجري، وقد اعتبرها **عبد الرزاق الموافي** استقلالية لأدب

1 .حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص 12
2 .جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي، دار الزنبقة، القاهرة، د ط، 2014م، ص8
3 .المسعودي أبو الحسين علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1424م/2005م، ص3
4 .المرجع نفسه، ص7
5 .عبد الفتاح وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق، ص28
6 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص163

الرحلة العربي عن الجغرافيا بقوله: **"**تمثل رحلة **ابن فضلان** ـ أورسالته ـ خطوة طيبة نحو الاستقلال الذاتي لأدب الرحلة العربي عن الجغرافيا، فقد كانت بمثابة طفرة كبيرة وثورة على الخلط بينهما**".**[1]

وهناك **المقدسي** صاحب كتاب **"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"** وقد أفرده بذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من البحار والمحيطات ولأنهار ووصف أمصارها المشهورة، وطرقها المستعملة، كما قدم العديد من رسوم الخرائط الجغرافية في هذا المصنف **"**لا يكف **المقدسي** عن تذكيرنا في أحسن التقاسيم... بأنه يقدم تمثيلات بصرية، خاريطات المناطق الموصوفة**".**[2]

وبحلول القرن الخامس نجد **البيروني** الذي وصف من بين أعظم العقول التي عرفتها الثقافة الإسلامية، قام برحلات عدة علمية في بلاد الهند التي قضى فيها نحو أربعين سنة **"**ووضع كتابه ـ **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة** ـ ومع ذلك فهو كتاب يستحيل اعتباره كتابا جغرافيا بالمعنى للفظ... فالمكانة الأولى عنده تحتلها الحضارة الروحية للهند، وقليل من فصوله الثمانين يمس موضوعات جغرافية بحتة**"**[3] وإذا تجاوزنا القرن الحادي عشر الميلادي وجدنا المصنفات الجغرافية سرعان ما اتخذت تتسم**"**بالتنسيق الأدبي للمواد الواردة في المصنفات المتقدمة وبدأ بعد نمط آخر ينال القبول لدى الجمهور، ذلك هو وصف الرحلات**"**[4]، ما يعني ذلك أن الرحالة غير نمط كتاباته والأسلوب في تأليفه، بعد أن كان اهتمامه وانشغاله منهبا على تسجيل وتدوين الجوانب الجغرافية المتعلقة بالبلدان التي زارها، تحول إلى سرد تجربته، والتحول الطابع السردي الأسلوبي للكتابة.

وبعد ذلك أصبحت الرحلات تقدم وتدون على شكل سير ذاتية ومن هؤلاء الرحالين الذين وضعوا هذا التقليد نذكر **ابن العربي** واحد من إحدى الرحالة الذين شهدهم القرن السادس الهجري ويعد **ابن العربي** قاضيا وفقيها إسلاميا كبيرا، كما يعد من أشهر الرحالة **"**ترك إشبيلية في اتجاه المشرق نحو السادسة عشر من عمره، غير أن رحلته التي تنسب إليه بعنوان الرحلة أو ترتيب الرحلة، تعتبر مفقودة**".**[5]

وهذا ما يؤكد عليه **نبيل راغب** أما وصف رحلته في الشام والعراق والحجاز ومصر ثم عودته إلى الأندلس مسقط رأسه، فقد ضاع لم يتم العثور عليه**".**[6]

---

1 .ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص240
2 .محمد بن أحمد المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، دارالسويدي، أبو ظبي، ط1، 2003م، ص16
3 .أغناطيوس كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص297
4 .حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص13
5 .عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دراسة منشورات، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، ص7
6 .نبيل راغب، أدب الرحلات، ص75

وشهد هذا القرن أيضا مدونة **الإدريسي "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"** بحيث يعتبر هذا الكتاب مكملا للأطلس وشارحا له على أرجح الأقوال، الذي امتاز **"**بغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية مما يشهد أنه ساح في تلك الآفاق**"**[1]، ويتجسد هذا القول بتعميم أدب الرحلات في المغرب الإسلامي بعد أن كان محصورا في شرقه.

يقول الباحث **محمد مسعود جبران "**إن الاهتمام بتدوين الرحلات من أبرز مميزات الأدب المغربي على الإطلاق، حتى إننا يمكن أن نقول إن أهم ما شارك به المغرب في بناء صرح الثقافة العربية العامة هو مع الأبحاث الفقهية فن الرحلة**".**[2]

ويأتي بعد **ابن جبير** من خلال رحلته المسماة "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" والمعروفة كذلك برحلة **ابن جبير،** وقد دون تفاصيل رحلته إلى الحج، سارد كل ما شاهده، وما وقع على أنظار من عجائب البلدان **"**بساتينها وأسواقها وتعرض لعمرانها وهندستها فذكر مساجدها ومشاهدها ومستشفياتها ومدارسها كما أبدى ملاحظات قيمة حول الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فذكر العادات والتقاليد، ووصف الاحتفالات بالمواسم وانتقد المواقف التي تعبرن عن بدع تتنافى مع الدين الإسلامي**".**[3] اشتهر **ابن جبير** بسبب رحلته التي دونها بعد أن زار عددا من البلدان والأماكن وبخاصة الحجاز القدس، وسجل فيها مشاهداته بأسلوب بديع ورائع.

وما تجاوزنا القرن السادس إذا رحل القرن السابع هجري ومعه رحالين ومدوناتهم لنقل أهمية عما سبقها، نحو مصنفات كل من **ياقوت الحموي** وهو من أحد الوجوه المضيئة في تاريخ العرب وكان رحالة وعالما جمع بين معارف كثيرة وأبحر في علوم عديدة، من أهم إنجازاته "معجم البلدان" المكون من عدة مجلدات ضخمة تحوي بين جوانبها مادة على قدر كبير من الثراء والقيمة **"**مما قاله ياقوت عن البلاد والأماكن والبقاع والديرة مع ضبط أسمائها وبيان اشتقاقها وطالعها، وما اشتهرت به ومن نسب إليها أو مات فيها من علماء السلف الصالح، وما قيل فيها من شعر، والغرض من ذلك رسم صورة متكاملة عن معجم البلدان، تلقى أضواء على اتجاهات علماء العرب والمسلمين في معلوماتهم الجغرافية وربطها بغيرها من العلوم**".**[4]

1 .زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص 65
2 .محمد مسعود جبران، فنون النثر الأدبي في آثار لسان بن الخطيب، المجلد الثاني، دار المدار الثقافية، ط1، 2009م ص9
3 .ابن جبير، رحلة ابن جبير، تقديم تسليم بابا عمر، موفم للنشر، رعاية الجزائر، د.ط، 1988م، ص5
4 .أبو الفتوح محمد التوانسي، ياقوت الحموي الجغرافي الرحالة الأدبية، الهيئة المصرية، القاهرة، ط 2، 1970م،ص137

ونرى في هذا القرن أيضا **البغدادي** الذي نال شهرة واسعة بفضل كتاب صغير ألفه بعد زيارته لمصر سماه "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث والمعاينة بأرض مصر "، **"**وفيه يصور أحوال مصر إبان زيارته لها، وقد قام بزيارتها مرتين عامي (587 - 589)، وبقي فيها نحو ثلاثة عشر عاما وكان يدرس خلالها بالجامع الأزهر**"**.[1]

ونصل مع نهاية القرن إلى رحالة له سمات خاصة، هو الأديب **محمد العبدري** سمى رحلته باسمه **"الرحلة العبدرية"** وتسمى أيضا **"الرحلة المغربية"** يصف فيها المغرب العربي ومدنه وطرقه، وطبائع أهله.

لقد قطعت الرحلة شوطا كبيرا في مستواها الأدبي مع **ابن بطوطة** النجم الكبير والرحالة العالمي المشهور صاحب ***تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*** الذي كان ذروة أدب الرحلة العربي، والتي صاغها **ابن جزي** حيث "أن مبنى الرحلة بمعظمه يرجع إلى **ابن جزي**، فيما المضمون بما فيه من أفكار وسرد روائي، يرجع بكليته إلى **ابن بطوطة"**[2]، قدم لنا وثيقة هامة عن حياة الأمة الإسلامية وأحوالها خلال القرن الثامن الهجري إذ **"**دون رحلته هذه، وتحدث فيها عن البلدان التي زارها والشعوب التي عرفها، متحدثا عن مواقع البلدان، والمسافات بينها، كما وصف مظاهر العمران، وألوان الحضارة، مما لا نعتبر معه مغالبين إذا قلنا: إنها تكاد أن تكون دائرة معارف مصغرة لهذا عاش فيه **ابن بطوطة"**.[3]

ونجد أيضا في القرن **ابن خلدون** جاءت رحلته مدونة "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"، كان هذا المؤلف في ثنايا الحديث عن السيرة الذاتية، كما يتضمن أيضا نصا جيدا في أدب الرحلة العربي يقول عن ذلك فؤاد قنديل **"**لم يفرد لنا ابن خلدون كتابا مستقلا يتضمن وصفا للبلدان التي ارتحل إليها والأماكن التي زارها وما شاهده وما عاينه من الآثار، كما فعل غيره من رجال الرحلة والجغرافيا، لكنه جعل الرحلة جزءا من سيرته الذاتية التي سجلها باقتدار بالغ**"**.[4]

أما بالنسبة للقرن التاسع والعاشر الهجريين قلت الرحلات في هذه الفترة من الزمن نظرا لأوضاع العالم العربي على الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما العلمية، فلما **"**كانت الرحلة العربية وآدابها إحدى مرايا الحضارة العربية، فقد تقلصت نسبيا هي الأخرى خلال القرنين التاسع

1 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص419
2 .شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة الرحلة، ص18
3 .ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ج 1، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1407ه/1987م، ص9
4 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 538 - 539

والعاشر الهجريين، (16-15م) وتوقفت تقريبا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (17-18ه) ولا نكاد نذكر إلا رحلتي النابلسي والطرابلسي والعياشي**".**[1]

ومع بداية القرن الثالث الهجري استرجعت الرحلة سيادتها وعرفت مجال أوسع، واتخذت وجهة متميزة ذلك لاتصال العالم العربي بالعالم الغربي ونذكر من الرحالة في تلك الفترة **رفاعة الطهطاوي** الذي رحل إلى فرنسا ودون رحلته في كتاب **"تلخيص الإبريز في تلخيص باريز"** الذي عرض فيه ظواهر الحياة الفرنسية **"**أن أنبه على ما يقع في هذه السخرة، وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة، والأشياء العجيبة، وأن أقيده ليكون نافعا في كشف القناع عن محيا هذه البقاع، التي يقال فيها: إنها عرائس الأقطار، وليبقى دليلا يهتدي به إلى السفر إليها طلاب الأسفار، خصوصا وأنه من أول الزمن إلى الآن لم يظهر باللغة العربية ـ على حسن ظني ـ في تاريخ مدينة باريس، كرسي مملكة الفرنسيين**".**[2]

وكان إلى جانب **الطهطاوي** رحالين آخرين منهم **خير الدين التونسي** الذي دون رحلته في كتاب **"تشحيذ الأذهان" وإبراهيم عبد القادر المازني** كتب رحلته الحجازية بعنوان **"رحلة الحجاز"** و**"شهاب الدين الألوسي وعبد الله فكري، وأحمد فارس الشدياق، وسليمان البستاني"**[3]، أما القرن الرابع عشر هجري واصل هذا الفن مساره وقطع مشوار طويلا ونتج عنه ظهور عدد كبير من الرحالة كـ**أنيس منصور ومحمد حسين هيكل وحسين فوزي، وأمين الريحاني، محمد تيمور، أحمد محمد حسين** وآخرين.

ب. عند الغربين:

إن المطلع على التراث الغربي، يمكن أن يقف على المظاهر التي يمكن اعتبارها تمثل جذور للرحلة في صورتها البدائية البسيطة عندهم، رغم ما يظهر عليهم اليوم من تفوق في هذا الفن، كانت لا تعدوا أن تكون ملاحظات عادية وانطباعات ذاتية **"سجلها الرحالة الأوائل في رحلاتهم ومغامراتهم المختلفة ".**[4]

والرحلة في التراث الأدبي الغربي، لا يمكن أن تتحدث عن تأصيلها، وظهورها الحقيقي، إلا مع ظهور كتاب وصلت إلينا كتبهم فعلا، أو وجود آثار مادية أقرها الباحثون تكون شاهدا ودليلا نبني عليه أحلامنا.

1 .المرجع نفسه، ص 80 - 81
2 .رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، كلمات عربية، القاهرة، ص10
3 .حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص15
4 .نبيل راغب، أدب الرحلات، ص 71

اعتبر الدارسون والنقاد أن ملحمة **جلجامش**[1] **"**التي تعتبر مفخرة حضارة وادي الرافدين هي أول نموذج وثقه الإنسان لرحلة، فهي وثيقة إنسانية كونية بامتياز، تبرز أحداثا متعددة وتعرض رحلات بطلها **جلجامش** رفقة **انكيدو**، العدو المتوحش الذي سخرته الآلهة للتصدي للملك,لكنه عندما حل بالمدينة استولى على قلبه الحب، وفق وحشيته، وانقلب إلى صديق ودود **الجلجامش**، وتصور الملحمة مغامراتهما، وما لقياه من أهوال ومصاعب، وما خاضاه من حروب مع البشر تارة ومع الآلهة تارة أخرى**".**[2]

كما اعتبر **هيرودوت "**أبا لأدب الرحلات كما أنه أبو التاريخ، فقد استق من رحلاته الطويلة العريضة في بلاد الإغريق مسحا وصفيا شاملا لها، ومن ثم استطاع تقديم عرضه للتاريخ في عام 425 قبل الميلاد، ولم يسع إلى الوصف التفصيلي لرحلاته، بل اكتفى بالتركيز على النتائج التي أنشأت علم الجغرافيا بالتالي**".**[3]

كما يمكن اعتبار الملحمة اليونانية المعروفة بالأوديسة ل**هوميروس**، تشكل مظهر **من** مظاهر الرحلة في التراث الغربي، والذي يسوغ لنا ذلك, هو معنى كلمة أوديسة ذاتها فهي **"**في اللغات الأوروبية الحديثة الآن، ترادف معنى سلسلة طويلة من الرحلات أو رحلة يمتد بها إلى مد وتتخللها المخاطر والأهوال**".**[4]

وهي تتناول فيها مجموعة من الوقائع والأحداث التي امتزج فيها الواقع والخيال والحقيقة بالأسطورة.

ويذهب **نبيل راغب** على اعتبار **كسينيفون** صاحب كتاب **الأناباسيس "**الذي ألفه في عام 371 قبل الميلاد، هو الواضع الحقيقي للتقاليد الأدبية لأدب الرحلات باعتباره استطاع أن يجمع في كتابه بين أمانة الوصف ونقل الخبر، والقيمة الفنية التي تتخطى السرد المباشر إلى السرد الفني نظرا لاعتماده الكتابة بأسلوب فني يخاطب به العقل والوجدان معا**".**[5]

1 .هي ملحمة سومارية عراقية قديمة دونت على أحد عشرة لوحا تعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد شاعت قديما تحت عنوان (من رأى كل شيئ) بطلها جلجامش ملك أوروخ إحدى مدن ما بين النهرين الذي تروي الأساطير أنه كان ملكا ظالما نقم عليه شعبه...

2 .عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، د ط، 1983م، ص425

3 .نبيل راغب، أدب الرحلات، ص71

4 .هوميروس الأوديسة، عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، دط، 1983م، ص 5

5 .نبيل راغب، أدب الرحلات، ص 71- 72

في حين يرى **مصطفى ماهر** أن رجال الدين على الأغلب كانوا أسبق أهل الغرب في العصر الوسيط إلى تسجيل رحلاتهم، و لكن الملاحين والمحاربين كانوا أسبق الناس إلى الخروج من أوطانهم.

وتعد رحلة **المطران أركولفوس** عام **697** إلى مصر وفلسطين أقدم رحلة في العصر الوسيط وكانت أوروبا في ذلك الوقت لم تتحدد مع ألمانيا وفرنسا وغيرها من البلدان بحدود واضحة لذا كانت اللاتينية هي أقرب لغة إلى قلم الكاتب، كذلك فعل الراهب **برنارد** عندما دون رحلته التي ساقته إلى البلاد المقدسة عام 870م و**الأولد نبورجي** الذي نزل فلسطين في عام 1211م وقد جمعت أخبار هذه الرحلات التي قام بها رجال الدين وغيرهم في كتاب قيم نشر عام 1900م في مدينة (أسروك) من طرف الباحثان **(وريثت)** و**(هايسر)**.[1]

فضلا عن **ماركو بولو** أشهر رحالة في العالم، فقد كان رجلا استثنائيا خرج من مغامراته إلى أراضي بعيدة مجهولة واستكشف أرجاء مثيرة من العالم في أسفاره ليسرد لنا قصة رائعة عن تجار مع شعوب وثقافات غربية في كتاب **"عجائب الدنيا"** أو باسم **"رحلات ماركو بولو""** أملى **ماركو بولو** ـ وهو في الأسر ـ قصة رحلاته على زميل له في السجن، استنسخت على يد أفراد آخرين مع اختلافات كثيرة، ولا تزال باقية لدينا إلى اليوم حوالي مائة نسخة من الرحلات تختلف لغة ما بين فرنسية وايطالية ولاتينية، وصدرت الطبعة المبكرة لأعمال **ماركو بولو** هو و**راموسيو** سنة 1559م وقام **مارسدن** بترجمة انجليزية لهذه الطبعة الإيطالية في سنة 1818م**".**[2]

أبدى الرحالة الغربيون على مر العصور الأدبية اهتماما بالغا بأدب الرحلات منذ القدم فكانت من أمتع الفنون الأدبية وأقربها إلى أنفسهم شأنهم في ذلك شأن الرحالة العرب وذلك لما يظهر عند سرد الرحلة وتدوين الطرائف الغريبة والحكايات التي تدعو للإثارة والتشويق، ومشاهدة رائعة حيث يكشف الرحالة عن الغربيون ومصنفاتهم بصفة عامة ومن هؤلاء المؤرخ **بوليبيوس** الذي ألف في تاريخ الرومان وذكر أحوال البحر الأبيض المتوسط وأحداثه التاريخية، كما تجدر الإشارة إلى ذكر الجغرافي الشهير **سترابون** بمؤلفه **"جغرافية العالم"** والمؤرخ الروماني **بليني** بمؤلفاته التاريخية، ومن كتاب الرومان أيضا **أريان** الذي اشتهر بمؤلفه عن حروب الاسكندر في كتاب المعنون **"حملة الإسكندر".**[3]

---

1 .صطاف فاتح، أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر 2015/2014 ص53

2 .ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيزجويد، ج1، الهيئة المصرية العامة، ط2، 1995 ص25

3 . ينظر إسماعيل المولى، أدب الرحلة والتواصل الحضاري، سلسلة الندوات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، د.ط. 1993م، ص25-26

بالإضافة إلى رحالة آخر منهم **جورج بورو "الثورة في إسبانيا" 1843م** من أشهر كتب الرحلات خلال القرن 19م، والكاتب الشهير **لورنس** فكتب رحلاته تتمتع بالشهرة فرحلته **"البحر وسردينيا"** التي قام بها في 1921م من صقلية إلى سردينيا ومنها إلى إيطاليا تعد رحلة نادرة، أما كتابه **"الفسق في إيطاليا"** فوصف فيه الحياة في قرية على بحيرة طردا، حيث أمضى **لورنس** بعض الوقت، وهنا يخلق لورنس روح المكان وينفذ إلى حياة الناس وتظهر شخصية الكاتب في صورة غضب من الحياة في تلك القرية[1] على غرار ما أرادته فرنسا التعرف على غرار ما أرادته فرنسا التعرف على بلدان العالم عن طريق الرحلات التي قام بها العديد من الرحالة واستفادوا كثيرا منها فقد"الطبيب الرحالة **فرانسو برينيه** (1920م - 1688م) إلى مصر والشام عام 1654م، كما أقام في الهند حتى سنة 1668م وأصبح طبيب السلطان المغولي **أورنجيدين** (1658م - 1808م)، ثم عاد إلى وطنه فرنسا يحمل معه ترجمة فارسية لكتابه **"upmochads".**[2]

إن النقلة الكبيرة لأدب الرحلات كانت مع ظهور حركة الاستشراق واهتمام الغرب بالشرق الساحر ووصف أجوائه الفاتنة في محاولة لنقل الصورة للقارئ الغربي، يقول **بييرجوردا** في ذلك "..وشق الطرق وكشف المجاهيل، إلا أن القرن السابع عشر يحظى بالأهمية الكبرى، لأنه القرن الذي قنطر بالفعل الهوة بين الشرق والغرب".[3]

فأدب الرحلات الغربي، وآثار الرحالة تعد امتدادا لحركة الاستشراق والمستشرقين، والاستشراق بحد ذاته هو من تراث الإمبراطوريات الغربية التي كانت ولا تزال تحرص على دوام مصالحها في الجزيرة العربية، لذلك كان هذا الأخيرة المهد الذي يتوافد إليه الرحالة الغربيون فكان **"جوزيف بتس** هو أول إنجليزي (و ثاني أوروبي) يزور مكة المكرمة في التاريخ الحديث، فهو أيضا أصغر رحالة، حتى أكدت أجل عنوانا لترجمتي هذه (رحلة الصبي **جوزيف بتس** لمصر والديار المقدسة)**.**[4]

تراوحت نظرة **بيتس** للعوالم العربية المختلفة عما اعتاده في أوروبا، أثناء مساره الرحلي، سواء عبر مصر أو الحجازيين الموضوعية ومجانية الصواب.

---

1 .ينظر صطاف فاتح، أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات، ص 57

2 .المرجع نفسه، ص 58

3 .بييرجوردا، الرحلة إلى الشرق (رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر) ترجمة مي عبد الكريم علي بدر الأهالي للطباعة، ط1، 2000م ص10-11

4 .جوزيف بتس (الحاج يوسف)، رحلة جوزيف بتس، ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية القاهرة، دط، 1995م، ص7

- **مواضيع أدب الرحلة وأغراض الكتابة فيه:**

صارت الرحلة بمنزلة الأم لعلوم إنسانية واجتماعية عدة نشأت في رحمها وترعرعت بين أحضانها، يبد أن أهم إسهامات الرحلة جاءت من خلال طرح معرفة الإنسان بالإنسان، فقد كانت عين الرحالة دائما بمنزلة آلة تصوير دقيقة تسجل كل ما يقع على أنظارها في البلاد المزورة "فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يعطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة يشاهدها أو يسمعها أحيانا وينقلها في رحلته، ولاشك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظاتهم وفي درجة اهتمامهم".[1]

وبهذا اعتبرت الرحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة في كونها تصوير للمشاهدات والمراحل التي يقطعونها الرحالة والمناظر التي يرونها وبغض النظر عن هذا فهي اكتساب للمعرفة والثقافة من النوع الرصين، لذلك اعتبر أدب الرحلة دائرة من المعارف والعلوم المتشابكة، واحتلاله مكانة عالية بين التصانيف المختلفة، وما ذاك إلا لما يحويه هذا التأليف من فوائد يندر اجتماعيا في موضع آخر.

فلكتب الرحلات عناية بالشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجغرافية وفيها احتفال بالغرائب والعجائب والإلمام بتاريخ المدن وأسماء البلدان وأخبارها، وبما أن هذا النوع من الأدب اتصف بغنى مادته واختلاف أغراض الكتابة فيه، سنتطرق إلى مواضيعه ومضامينه التي تجلت في المجلات التالية:

- **أ.الجغرافية: "**في الثقافة العربية نصوص جغرافية كثيرة ومتنوعة اندرج أغلبها في سياق تجاري أو علمي، فدونت نصوص رحلية تهتم بالجانب الجغرافي البري أو البحري. وذلك بوصف الطرق والمسالك، ومعالم البلدان والمراكز والآثار، بالإضافة إلى بعض المواقع والنواحي، وتمثل فترة القرن الرابع الهجري، كما يحدد ذلك **نقولا زيادة -** دور النضج في الجغرافية العربية، إذ أن هناك أربعة اتجاهات في التأليف الجغرافي العربي:
  - ✓ العناية الشديدة بالعلم الإسلامي (البلخي، الأصطخري، المقدسي وابن حوقل).
  - ✓ نوع تخصص في قطر واحد(البيروني: الهند، ابن فضلان: بلغار الفولغا).
  - ✓ الاتجاه الثالث: اهتم بوضع المعاجم الجغرافية (الحموي).

1 .حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص6

✓ الاتجاه الرابع: ويتجلى في الموسوعات الكبيرة النويري في نهاية الأدب صبح الأعشى للقلقشندي)".[1]

فالرحالة وهو صوب اهتمامه بتدوين مشاهداته وتصوير ما عاينه، أخذت عندئذ العناية بالجغرافية تتبلور حول دراسة الرحالة دراسة الأقاليم والمناطق دراسة وافية، بذكر الأقاليم والمدن والبلدان، كما يتحدث الرحالة عن طبيعة المناخ وظواهر توزيع السكان، مع كثير من التحرر من القيود السابقة، فصارت المعرفة الجغرافية بنفسها هي الأصل.[2]

إذ أن معظم الرحالين ذكروا الجانب الجغرافي في رحلاتهم ومن أمثلتهم **ابن بطوطة** متحدثا عن جغرافية مكة قائلا: "وهي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة، في بطن واد تحف به الجبال، فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها، وتلك الجبال المطلقة عليها ليست بمفرطة الشموخ، والأخشاب من جبالها هما جبل أبي قيس، وهو في جهة الجنوب والشرق منها، وجبل قعيقعان، وهو في جهة الغرب منها، وفي الشمال منها الجبل الأحمر ومن جهة أبي قيس أجياد الأكبر، وأجياد الأصغر، وهما شعبان والخندمة، وهي جبل".[3]

كما يقول **ابن حوقل** في تأليفه لكتاب "صورة الأرض" "وقد حررت ذكر المسافات واستوفيت صور المدن وسائر ما وجب ذكره، واتخذت لجميع الأرض التي يشتمل عليها البحر المحيط الذي لا يسلك، صورة تضاهي صورة القواذيان من جهة وتخالفها في مواضع، وأعربت عن كل إقليم مما ذكرته، واتصال بعضه ببعض ومقدار كل ناحية سعتها وصورتها، من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث، وسائر ما يكون عليه أشكال تلك الصورة والعمل وموقع كل مدينة من مدينة تجاورها وموضعها من شمالها وجنوبها".[4]

- **التاريخ:** والأمر نفسه بالنسبة للجانب التاريخي، فإن الرحلات في هذا المجال تقدم المعلومات التي لم يقدمها لنا العلم المختص فيه، بحيث توجد في الرحلات بعض المعلومات والأحداث وأسماء الأماكن المختلفة التي لم نجدها في الكتب التاريخية ولولا الرحلات لم تكن تظهر هذه الأسماء والأحداث ومن الرحالة من ذلك اهتماما نذكر منهم البغدادي الذي وصف الأهرام بمصر قائلا "أما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشيء لم أرى ولم أسمع بمثله في مثلها فأقتصر على أعجب ما شاهدته فمن ذلك الأهرام، وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها، وهي كثيرة العدد جدا وكلها بين الخيرة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد نحو مسافة يومين وفي منها شيء

1 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص69- 70
2 .ينظر نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، ص12
3 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ص 145
4 .ابن حوقل، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،د.ط، 1992م، ص15

كثير وبعضها مخروط أملس، قد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب".[1]

فالرحلات جسدت مختلف المظاهر السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للبلدان وأعطت كل ذلك بعده المناسب، فالرحلة تقدم صورة تاريخية لمدة نابضة بطبيعة العصر الذي عاش فيه الرحالة، فهي تمدنا بأحداث ووقائع حقيقية، وشخصيات بالفعل كانت، فالرحلة بذلك تجسد بعض الحقائق المعرفية عن المرحلة التاريخية التي عايشها، وهذا ما نقله لنا البغدادي من رحلته إلى مصر في حوادث سنة خمس وتسعين وخمسمائة" ودخلت سنة سبع مفترسة أسباب الحياة، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاد وهاجروا من خوف الجوع وانضوى أهل السواد والريف إلى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم إلى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا في البلاد ومزقوا كل ممزق، ودخل إلى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت، وعند نزول الشمس أكمل وبئ الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والأرواث"[2]، وهكذا يقدمون لنا الرحالة معلومات غنية وفي قيمة الثراء، فهم يزودوننا بما لم يكن لنا به علم، فلولا الرحلات لما وجدت هذه الأحداث وهذه الشخصيات .

- **السجلات الاجتماعية:** يوجد في الرحلات ذكر المظاهر المختلفة من الحياة الاجتماعية ومنها طبقات المجتمع والاحتفالات والعادات والتقاليد، فتشكل السجلات الاجتماعية في النصوص الرحلية رافدا أساسيا لإناء النص وتوسيع أبعاده وتنويعها، خصوصا وأن جل الرحلات لا تخلو من وصف طبائع الناس وبعض خصوصيات ثقافتهم، فيأتي الجانب الاجتماعي في النصوص الرحلية سجلا يرصد بعض أخبار السكان وطبائعهم وتقاليدهم ومذاهبهم، وكل ما يثير الرحالة في إطار المقارنة مع ما يختزنه مما يسهل الاصطدام بمشاهد غير مألوفة: وأساليب حياتية لم يتعود عليها.[3]

هذا ما جعل محمد لبيب البتوني في رحلته إلى الأندلس واصفا مدينة سان سباستيان فيقول عنها "هي أعظم مدن اسبانيا البحرية على الأقيانوس الأطلنطي وعلى الخليج (غسقونية)، وعدد أهلها خمسون ألف نفس، وهي مضيف ملوك اسبانيا، وترى قصر الملك في قمة الجزيرة صغيرة جميلة في مدخل المرفأ تسمى جزيرة كلارا، وهذه الجزيرة بوضعها الطبيعي تخفف عن المرفأ هجمات أمواج الأقيانوس، ولهذا كان الاستحمام في مياهها مأمونا وليس فيه شيء من الخطر، وفي هذا المرفأ حمامات فخمة وخاصة

1 .عبد الرحمان عبد الله الشيخ، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر، الهيئة المصرية، القاهرة، ط2، 1998م، ص 89
2 .المرجع نفسه، ص131
3 .ينظر شعيب خليفي، ادب رحلة عند العرب، ص 73

جهة الجنوب. ومن الناس من ينصبون لهم على الشاطئ خيمات صغيرة يقضون فيها يومهم بملابسهم البحرية طول نهارهم"[1]. كما تحدث عن أحد الفنادق في أحد جبال المدينة قائلا "وفي أعلى الجبل فندق فيه ما لذ وطاب، من أكل وشراب، ومحاصرة على نغمات الموسيقى خصوصا (بعد العصر). ودن الفندق على الجبل مكان فيه طائفة من الزنوج يضربون على الطنبور ويرقصون ويشربون نوعا من المريسة، وهم إنما يمثلون إفريقيا للناس بهؤلاء المتوحشين الذين لا يزالون في الحلقة الأولى من الإنسانية أو كان أولى بهم أن يعرضوا في مكانهم بعض أسرى الريف الذين ظهروا للعالم وللتاريخ لكبر شهامتهم، وهم لا يزالون يدافعون عن كرامتهم وحوزتهم تلقاء هاتين الدولتين الضخمتين مع قلة عددهم وعددهم"[2]، ففي الرحلات ذكر الأعياد والحفلات، وذكر ما يتصف به البلد من ألبسة سكانه التي تميزه عن غيره، كذا الأطعمة المشهورة لديهم، فالرحلات تنقل الثقافة والمظاهر الاجتماعية لتلك البلدان التي قصدها الرحلة.

كما تطرقت إلى هذا الجانب نوال عبد الرحمن الشوابكة قائلة: "أما الملابس، فقط حلفت بعض كتب الرحلات بالكثير من الإشارات إليها، واخذ الرحالة يصفونها وهم ينتقلون من مكان إلى أخر، وكان أكل منطقة أو جماعة زيها الخاص بها، وربما دل على تنوع الألبسة واختلافها وتفاوتها بين الحكام والطبقات الغنية، وطبقة عامة الشعب على الحالة الاقتصادية والوضع الاجتماعي في تلك العصور"[3]، فالرحلة لم يعد يهمه في الرحلة تحديد الموقع الجغرافي، بل تجاوز ذلك إلى الوقوف على عادات الشعوب وتقاليدهم، معتقداتهم وخرافاتهم، لهجاتهم ومعاملاتهم الأثرية، فمن الناحية الاجتماعية نجد الرحالة يتحدث عن كل ما لفت انتباهه "من أحوال المعيشية (...) وصورت الرحلات المحطات الهامة في حياة الإنسان: الميلاد ولزواج والموت، وكل ما يرتبط بهذه المناسبات من مظاهر اجتماعية واحتفالات بالمناسبات السعيدة أو الحزينة، وما يرافقها من العادات و لتقاليد والبدع التي قد تختلف من بلد إلى أخر بنسب متفاوتة فيها وان كانت متشابهة في مختلف البلدان، غير أن لكل بلد خصوصيتها".[4]

وقد نجد بعض الرحالة يخصص مساحة كبيرة للعادات والتقاليد فيصورها بدقة متناهية، ويعطيها اهتمام كبير "تحسم ثقافة وخلفيات الرحالة في عمق أو سطحية ملامسته للسجلات الاجتماعية للمناطق

1 .محمد لبيب البتوني، رحلة الاندلس، مؤسسة الهنداوي، مصر، القاهرة، ط 1، 2014م، ص 19
2 .المرجع نفسه، ص20
3 .نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص160
4 .المرجع نفسه، ص159.

المرتحل إليها، كما أن وجود هذا العنصر داخل الرحلة شكل بؤرة اشتهرت بها العديد من النصوص، ولفت انتباه الأنتروبولوجين والأثنوغرافيين وأيضا المهتمين إلى صفحات ثرية ومغرية في آن**".**[1]

- **السيرة:** تعد الرحلة كوسيلة من الألوان التعبيرية الأولى، التي تعتمد السرد، وتعبر عن الذات مع انفتاحها على الآخر، وتقدم صورة عنه بكل إيجابياتها وسلبياتها، منطبعة بأحاسيس الإعجاب أو الاستغراب بالذات فـ**"**تروم السيرة الذاتية تحقيق نوع من التجربة والتأريخ لحياة الفرد /المؤلف عن طريق حكي استرجاعي يخص فترة السفر المحددة .ويتعلق الأمر بتدوين كتابة ومدونته، ووصف للنفس المتأرجحة بشكل ملفت للانتباه، تتحد فيها شخصية الرحالة بالمؤلف بالراوي، وهو ما يشجع على التأكيد بأن السير الذاتية هي رحلات حياتية وفكرية في الوجود المادي والروحي مثلما هي الرحلات في العمق، سير ذاتية محدودة، خصوصا النصوص الحجازية ورحلات المغامرة، ذلك أن السيرة وهي شكل متبلور يتخذ موقعه «المركزي» في النص الرحلي بشكل بارز**".**[2]

والحقيقة أن الرحالة يتناولون في رحلاتهم, تلك المراحل التي يقطعونها والمناظر التي يرونها وإضافة إلى ذلك فهم يتحدثون عن كثير من سلوكياتهم و تجاربهم الشخصية الذاتية مما يجعل هذه المرحلة في كثير من جوانبها تلتقي مع السيرة الذاتية لصاحبها.

"فأبو محمد العبري صاحب الرحلة المغربية الذي تناول في رحلته الحديث عن ذهابه إلى المشرق لأداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة، فإن أكثر جوانب هذه الرحلة كرسه لتصوير تجاربه ومشاعره اتجاه إعجابه بالأعلام الذين خالطهم، والعلوم التي حملها قائلا **"**هذه الرحلة بدأ**ت** بتقييدها في تلمسان ولم يمكنني إظهارها هنالك وأظهرتها بعد خروجها منها، ووقف عليها شيوخنا بمصر وغيرها (...) كان سفرنا تقبله الله تعالى في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة، ومبدأه من حاجة صانها الله، وكان طريقنا على بلاد القبلة".[3]

كما نلاحظ تداخل السيرة الذاتية والرحلة بصورة قوية وعميقة في رحلة ابن خلدون حتى قيل أنه "لم يفرد لنا ابن خلدون كتابا مستقلا يتضمن وصف للبلدان التي ارتحل إليها والأماكن التي زارها وما شاهده، وما عاينه من الآثار، كما فعل غيره من رجال الرحلة أو الجغرافيا، لكنه جعل الرحلة جزءا من

1 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص74
2 .المرجع نفسه، ص57-58
3 .محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، منشورات بونة الجزائر، ط1، سبتمبر2007م، ص21

سيرته الذاتية التي سجلها باقتدار بالغ في كتابه - التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا - الذي يعد نموذجا رائعا ورائدا في الترجمة الذاتية".[1]

- **التراجم:** إن التخمين الذي يفضي إلى الاحتمال بوجود إشارات عن التراجم تأخذنا الطمع فيه إلى مخاتل وهي كتب الرحلات، التي اكتسبت التراجم حظا وافرا فيها، إذ "ترتبط التراجم بالنص الرحلي أكثر من أي شيء آخر خصوصا في بعض الأنواع التي تستجيب لهذا الشكل، ففي الرحلات الحجية والزيارية، تصبح بنية الترجمة حاضرة بقوة، بحيث يتحول الرحالة -المؤلف إلى ترجمان للأعلام والفقهاء والمتصوفة والأولياء والأموات الذين زارهم أو الأحياء الذين سمع عنهم أو صادفهم وناقشهم"[2]، وهذا ما يتجلى عند عبد الله بن محمد العياشي ف"بالفعل فإن الرحلة العياشية تعتبر ديوان علم وأدب وسجل تاريخ وتصوف وكتاب أخبار وآثار، ويكفي أنها قد انفردت، دون سواها من الكتب والرحلات وأمهات المصادر، بإيراد جملة من النصوص والرسائل والإجازات (...) كما أنها تترجم لعدد من الأعلام الذين لا تكاد نحس منهم من أحد أو نسمع لهم ركزا في غير هذه الرحلة".[3]

كما توجد نصوص رحلية يكون فيها الرحالة مرافقا لموكب رسمي لتدوين سيرة الرحلة وهنا اختصت الرحلات بإيراد صيغة تجمع بين السيرة الغيرية والترجمة، إذ تبدو فيها ذات المؤلف غائبة خدمة الآخر على عكس النصوص الأخرى التي تتذوت فيها التراجم عن طريق أحكام وتقارير ومواقف تجعل من العبارات المركبة جزءا من البنية الفكرية للرحالة.[4]

كما يوجد هناك مجموعة من العناصر والمتغايرات التي تحضر في النص الرحلي بدرجات متفاوتة، أو قد تختفي إذ نصفها بالعناصر الثانوية من بينها:

- **الحكي والخبر:**

الحكي الإخباري من بين العناصر التي تحضر تارة وتختفي تارة في النص الرحلي ضمن وحدات مهيمنة تستعين بالوصف لتلك الأماكن والبلدان والمشاهدات التي يخبرنا عنها الرحالة والتطرق إلى حكي بعض الأحداث، والمقارنة والتعليق في جمل سردية يتم تقديمها عبر مراحل الرحلة وقد يغلب طابع الحكي الذات فتتراجع الأخبار لصالح الذات مثلما يمكن للحكي أن يترك مكانة للإخبار الذي يضيء

1 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في الأدب العربي، ص548-549
2 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص64
3 .عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، مج1، دار السويدي، أبو ظبي، ط1، 2006م، ص13
4 .ينظر شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص65

الأشياء والآخر وفي الحالتين يتجلى التأثير الذي مارسته الحقول الأخرى لذلك تتطلب طبيعة النص الرحلي المنسجم مع التصور العام ومع الأشكال والحقول الأخرى.[1]

- **الشعر:** نجد كثيرا من الرحلات تطفح بالكثير من الأشعار المختلفة المضامين والمتفاوتة في القيمة الفنية، هذه من الأشعار إما من إبداع الرحالة أو من إبداع غيره من الماضين أو المعاصرين الذين ينشدونهم، والرحالة وهو يحكي رحلته بالشعر إنما يفعل ذلك تحت تأثير المكانة العالية التي يحتلها الشعر في الثقافة العربية، وإلى رفع قيمة رحلته باحتوائها عددا وافرا من الأشعار، ومن بين الرحالة الذين وظفوا الشعر في رحلاتهم **ابن جبير** ،فشعره متصل برحلاته وأسفاره فيعرض موضوعاته الشعرية والقصائد الطويلة.[2]
- **الرسالة:** الرسائل عنصر مهم من النثر الأدبي، ونجدها منذ زمن الرسول ﷺ ،كما نجد بعض الأدباء المشهورين الذين اشتهروا بكتابة الرسائل الأدبية نجدها عند بعض الرحالة في رحلاتهم، لذلك "وسمت نصوص رحلية وأدبية عامة بكونها رسائل، مثلما برع أدباء ـ ومنهم رحالة ـ في الأساليب الرسائلية باعتبارها صنعة محددة المعالم مارسها أدباء في الدواوين ومن خلالها كتبوا في مواضيع الإخوانيات والمفاكهات والمناظرات والأوصاف والحكايات... وتطرح مسألة علاقة الرحلة بالرسالة نقطتين للنقاش تتعلقان بإشكال تفاعل الأشكال وتداخلها، النقطة الأولى وتخص التداخل في التسمية بين الرحلة والرسالة، ترحلات **أبي دلف وابن فضلان**، وتم عنونتها باسم رسالة (...) والنقطة الثانية وتتعلق بكون العديد من انفتاحات النصوص الرحلية يشبه بدايات الرسائل لتضمنها لصيغة *أما بعد*".[3]
- **اليوميات:** من مقتضيات الرحلة ولوازمها اليوميات والمذكرات والتي ترتبط بهما ارتباطا وثيقا، باعتبار أن الرحلة عملية رصد وملاحظة، وإخبار عما شوهد فيها واستقصاء للمكان المزار والسبيل له، لذلك تعتبر كتب الرحلات عبارة عن مدونة يوميات الرحالة حول رحلة قام بها في الواقع، فالرحلة في عمقها مذكرات ويوميات، فيدون **عبد الغني النابلسي** رحلته كلها بالتواريخ المفصلة في شكل يوميات تصل إلى تسعة وتسعين يوما، أما **العبدري** فهو يقيد ما جرى له في شكل مذكرات عن الأشخاص والأمكنة، مثلما فعل **ابن بطوطة** متذكرا للأحداث التي عايشها، أما بالنسبة للبنية التي تتفاعل داخلها اليوميات مع المذكرات بالبوح، أي ذكر اليوميات مع الحدث التاريخي الذي يتجسد في اليوميات الممزوجة بالخبر التاريخي، وهذا الأسلوب يحضر عند

1 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص 75
2 .ينظر جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة ماجستير جامعة خيضر باتنة، 2014م/2015م ، ص 18
3 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص76- 77

التجاني في رحلته "...فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت من في الجزيرة ".[1]

وعليه يمكن القول عن"أدب الرحلة وعاء لكل مضمون، وهو لا يفرق بين مضمون خسيس وآخر شريف، أو بين مضمون مهم وآخر تافه، كل مضمون قابل للتدوين طالما قبله ذوق الرحالة واقتنع به، وعليه... يمكن القول بأن مضمون الرحلة هو مضمون الحياة ".[2]

- **مميزات وخصائص أدب الرحلة:**

إن تعدد الرحلات بتعدد أغراضها وأهدافها جعلها قبلة للعديد من الباحثين مختلفي المشارب، وأولها اهتماما، وإن كان هذا الفن لا يزال يحتاج إلى دراسات من جوانب أخرى وذلك لما حظي به من مميزات وخصائص ولعل أهم ما يميزه الشمول والتنوع، فأدب الرحلة يشمل"التاريخ والجغرافيا والدين والاجتماع، والسياسة، كذلك فإنها تعني بالوصف الدقيق، والتصوير الأمين، والنقل الصادق، بدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا وهي عندئذ تتحلى بالابتعاد عن الهوى والميل والغرض الذاتي"[3]، هذا فيما يتعلق بالشمول، أما التنوع فيتمثل أساسا فيما يزخر به من مواد ذاتية غنية "فهو تارة علمي، وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب ليس لها مثيل في أدب أي شعب معاصر للعرب".[4]

إلا أنه حتى يتحقق هذا يجب توفر خصائص في الرحلة حتى تدخل ضمن دائرة أدب الرحلات تكمن فيما يلي:

- ✓ يقوم على رحلة أو رحلات واقعية في زمان ومكان محددين بحيث الرحال يصف رحلة ـ أو رحلات واقعية وشرط الواقعية هذا أهم ما يميزه أدب الرحلة عن غيره من الأنواع الأدبية، والرحلة الواقعية معناها أنها حدثت بالفعل، فلا محال الحديث عن رحلات ممكنة أو مستحيلة، إنها رحلات حقيقية بكل تفاصيلها وفي إطارها العام.
- ✓ وأن الذي يقوم بها رحال تمكن حب الرحلة منه، يصف انطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة.

---

1 .المرجع نفسه، ص78
2 .ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 48
3 .سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، ص9
4 .كراتشكوفسكي أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي، ص 28

✓ الوصف: الذي يتطلب انتباها ودقة ملاحظة من الرحالة، كما يتجلى في الأشياء الغريبة وغير المألوفة لدى الرحالة، وتبعا لهذا ستختلف الموصوفات في الرحلات حسب الأوساط التي عاش فيها الرحالة وما ألف مشاهدته فيها، لأن المألوف معروف لا يحتاج الرحالة إلى إعادة التعريف به.[1]

وعلى إثر هذا يعتبر الوصف المحرك الأساسي وميزة خاصة في أدب الرحلة فهو الذي يشعل لهيب الإحساس عند الرحالة عند كتابته للرحلة فيتراوح بين الوصف والسرد، وهذا الأخير لا تنفك الكتابة الرحلية عنه، ولا يمكن أن تستغني عنه ما دامت تنقل إلى المتلقي أحداثا وأفعالا قامت بها الذات الكاتبة، وهذه الأحداث والأفعال هي الانتقال من نقطة الانطلاق ثم العودة إليها، والسرد يبدأ مع بدء الرحلة، ويستمر إلى نهايتها، لتكون المسيرة السردية من مقاطع سردية دائمة الحضور في كل الرحلات، ومقاطع سردية تحضر في بعض الرحلات وتغيب في أخرى والمسيرة السردية في الرحلات تتخللها محطات يتوقف فيها السرد ليفسح المجال لمكونات أخرى للاشتغال، أما الوصف"تتفق كافة كتب الرحلة في الاعتماد على تقنية الوصف، لأنها المهمة الأولى لكتب الرحلة... وصف العمارة والرسوم، ووصف الحجر والبشر، ووصف الطبيعة بما فيها من أنهار وجبال وأشجار، وشروق الشمس وغروبها وأحوال القمر والسهر والسمر، وعادات الناس وغيرها...".[2]

فضلا على أن كتب الرحلة لا تخلو من الفكاهة والمرح والسخرية مع الإمتاع والمؤانسة وهي دون شك سمات أصلية في الأدب، إلى جانب هذا كتب الرحلة تحفل بالقصص الحقيقي منها والأسطوري المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى... كما تحفل بالحوادث والمعارك والحوارات والأزمات والمصاعب والأوجاع، بل والمآسي الإنسانية.[3]

وهذا ما تؤكد عليه **نوال عبد الرحمان الشوابكة** "ولعل أبرزها ما يميز أدب الرحلات تنوع الأسلوب من السرد القصصي للمغامرات والعواطف المحركة للبشر إلى الحوار والوصف الطريف وغيره، وبما فيه متعة ذهنية".[4]

إذن أبرزها يميز أدب الرحلات التنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار، فالوصف فوجود النزعة القصصية في أدب الرحلة أمر طبيعي للرحلة وما يتخللها من حوادث ومواقف تحث الرحلة على التسجيل، وصياغة هذه الحوادث في أسلوب قصصي يعتمد إثارة التشويق في كثير من الأحيان، والرحلة في حد ذاتها قصة إن لم تتوافر فيها خصائص القصة، فإن فن أدب الرحلة يقترب من

1 .ينظر ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص40 - 41
2 .محمد بن مسعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة، ص 23
3 .ينظر المرجع نفسه، ص 23
4 .نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص55

فن القصة، إن بعض الرحالين جنحوا إلى سرد القصص التي عاشوها، وإلى جانب السرد نجد الوصف الدقيق والبارع في معظم الرحلات هذا الذي قرب الرحالة إلى أسلوب القاص، فأدب الرحلة هو صورة قديمة للقصة بحيث فيه عناصر أساسية مثل السرد، الوصف،الحوار، وغيرها و هو يجمع بين المتعة والفائدة على غرار اعتباره من أرق النماذج على الوصف الفني الحي المتميز، فهو الانصراف عن اللهو والعبث اللفظي، والطلاء السطحي، والإثارة للتعبير السهل المستقيم الناضج بغنى التجربة وصدق اللهجة الشخصية، مما لا نجده متوافرا عند البلغاء والأدباء المحترفين، ونجده بقوة عند العلماء وفقهاء الدين والمؤرخين هؤلاء الكتاب الرحالين،فأدب الرحلة يحتفل بكثير من الأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة علاوة على ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي سلس مشرق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي .[1]

إلا أن لهذا النوع من الأدب مكونات خاصة بخطابه الذي تميزه عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، ومنها اعتبار الرحلة حكي، وكل حكي يستلزم وجود أطراف ثلاثة: ذات حاكية (المؤلف الرحالة)، المحكي (الحكاية،الخطاب الرحلي)، المحكي عنه (الرحلة،السفر).

أ. فالحاكي أو الراوي في الرحلة هو المؤلف نفسه، في انتقالها عبر الأماكن المزورة، لا تنفصل عن ثقافتها ومعتقداتها ورؤيتها للعالم.

إن الراوي في الرحلة المؤلف ذاته، وهذه إحدى خصائص الكتابة الرحلية، هذا يكون حاكيا وموضوعا للحكي، فهو حاكيا عندما يصف ويكون موضوعا للحكي عندما يسرد وبهذا يقدم الراوي معرفة موضوعية أثناء الوصف، كما يقدم تجربة ذاتية أثناء السرد.

ب. المحكي عنه وهو السفر التي أنجزها الرحالة فعليا، وحديث الرحلة عن السفر جعلها تنتمي إلى "أدب السفر" ولكنها تختلف عن بعض أنماطه التي وظفت السفر بشكل أو بآخر.

هكذا يصبح السفر بنية مهينة من جهة، وهي من جهة ثانية بنية متحكمة وجاذبة لباقي البنى إلى الحد الذي تخضع فيه هذه الأخيرة لبنية السفر، وبهذه الهيمنة التي تتمتع بها بنية السفر داخل الكتابة الرحلية يصبح السفر هو الناظم لمختلف المكونات الرحلية الأخرى من سرد ووصف وأخبار وحكايات وأشعار معارف متنوعة .

1 .ينظر فردوس أحمد بت، مجلة اللغة،ع 2، يناير/مارس 2016م، ص 26 - 28

إن هيمنة المكون السفر لا يعني أن الرحلة من باقي المكونات الأخرى، بل تعني أن السفر هو العنصر المؤخر لكل العناصر و المكونات الأخرى، ومن النادر جدا وجود رحلة اقتصر فيها مؤلفها على هذا المكون فقط.

بعد الوقوف عند طرفي عملية الحكي في حكاية الرحلة، وهما الذات الحاكية والموضوع المحكي ننتقل إلى لب هذه العملية وقلبها، وهو الخطاب الرحلي.

ج. المحكي أو الحكاية، وهو خطاب الرحلة، ومن المعلوم أن لكل خطاب طريقة الخاصة في البناء بها يتميز عن غيره من الخطابات، وبما أن خطاب الرحلة موضوعية السفر (الرحلة) الذي قام به الرحالة فإن خطاب الرحالة يتماهي مع الرحلة وعوالمها، ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية، فهو يبتدئ بتحديد أسباب الرحلة ودوافعها، وزمن الخروج ومكانه، وكلما انتقل الرحالة في المكان واكب الخطاب هذه التحولات وصولا إل النهاية (نهاية الرحلة)، وهكذا تكون طريقة بناء الخطاب وسيلة لتمييز خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات عامة وأدب الرحلة خاصة. [1]

وأدب الرحلة ينفرد ويتميز من خلال ما يتجلى في الكتابة الرحلية من خصائص التي تميزها عن باقي الأجناس النثرية الأخرى والتي تتمثل فيما يلي:

- **هيمنة بنية السفر:** إذا كان الإنسان لا يستغني عن الحركة في حياته، والتنقل من مكان إلى مكان لأجل قضاء حاجته، فإن العمل الأدبي أيا كان يساير هذه الحركة المتعلقة بالإنسان، ما دام أنه يحاكي واقعه، ويتحدث ويشرح مصيره، فهيمنة بنية السفر تمنح للرحلة القصد والغاية، إذ السفر، يصبح في ثنايا السرد نابعة من بنية السفر.[2]
- **هيمنة السرد الذاتي:** لاشك أن السيرة الذاتية تتقاطع مع الرحلة في مفترق طرق، إذ تحضر ذات الرحالة في رحلته حضورا بارزا، فالسيرة حكي استعدادي نثري، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته بصفة عامة فما دامت الرحلة حكي لسفر قامت به هذه الذات، فلا غرابة في أن تحضر الذات في الخطاب الرحلي.
- **الحكي بضمير المتكلم مفرد أو جمعا:** وهذا تجلى من تجليات الذات في أسلوب الكتابة.
- **الواقعية:** الرحالة رجل واقعي عاش في فترة زمنية معروفة والذين يتحدث عنهم أيضا واقعيون عاشوا في زمن معروف، ومكان معروف، فالأماكن التي يصفها أماكن حقيقية لها وجود فعلي على الأرض، وبهذه الخصيصة تتميز الرحلة عن الرواية والمقامة المبنيتين على الخيال.

1 .جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة ماجستير جامعة خيضر باتنة 2014م/2015م، ص 14 - 15
2 .ينظر عبد الرحمن مودن، أدبية الرحلة، ص 26

- **دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق:** فالخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه، ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود إلى نقطة الانطلاق، وهكذا يدور الخطاب مع السفر وينتهي من حيث بدأ.
- **تعدد المضامين وتداخل الخطابات:** يشتمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية وإثنوغرافية وأدبية... وتتداخل فيه خطابات مختلفة: الشعر والرسالة والحكاية والوصف والسرد... وهذا ما يجعله جنس الأجناس أو محصلة الأجناس.[1]

إضافة إلى خاصية "التنوع في الهوية الثقافية والاجتماعية للرحالة المؤلف ما بين أديب ومؤرخ وجغرافي ومصنف وسفير، وغيرها من الصفات التي تطبع هويته وبالتالي النص الرحلي[2]، "كذا"التنوع في الأشكال الرحلية وبالتالي في الأسئلة التي تجعل منها موجها إدراكيا ومنتجا لخطابات وميتا خطابات كما هي منتجة للمعارف".[3]

ولذلك يمكننا القول أنه يندرج تحت اسم أدب الرحلات مجموعة من الخصائص والمميزات المتمثلة في احتوائه على مجموعة من القصص والأحداث التي تساهم في نقل صور تاريخية للقراء.

- ✓ يصف طبيعة، ومراحل الرحلة التي شارك بها الرحالة.
- ✓ يهتم بتسجيل المعلومات الجغرافية حول المناطق .
- ✓ ينقل وصفا عن العادات والتقاليد السائدة عند سكان المناطق التي وصلها الرحالة.
- ✓ يعتمد على نقل التاريخ بصورة واقعية، أي يسرد قصصا حول شخصيات حقيقية.

1 .جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، ص19
2 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص 10
3 .المرجع نفسه، ص 10

الفصل الثاني: جماليات الأسلوب وفنياته في أدب الرحلة:

من خلال بعض النماذج والدراسات التي أجريت حول أدب الرحلة وبعض الرحالة ورحلاتهم، نحاول استكشاف مواضيع هذا الأدب وأساليب الكتابة فيه وفنياته.

- **رحلات ابن بطوطة:**

الرحالة: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، تنتسب أسرته إلى قبيلة "لواته".[1]

كان "مولد ابن بطوطة في مدينة طنجة، وهي إحدى مدن المغرب العربي وتقع على الشاطئ الإفريقي لبحر العدوة (بحر الزقاق) الذي يصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي، والذي يعرف باسم: مضيق جبل طارق وكانت ولادته كما ذكر ابن جزي في يوم الاثنين 17 من رجب سنة 703ه، الموافق ل 24 فبراير سنة 1304م".[2]

نشأ ابن بطوطة في كنف أسرته التي عرفت بالتدين والعلم والإفتاء، فمنها نبغ العلماء والقضاة، وهو ما ذكره لملك الهند عندما خيره بين الوظائف التي يرغبها، فقال: أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاة والمشيخة فشغلي وشغل أبائي".[3]

تتلمذ ابن بطوطة في مدرسة سنية ذات مذهب مالكي، وتعلم شيئا من علوم الدين والفقه، وقد ذكر حسين مؤنس عن تعليمه حيث يقول "قد درس على طريقة أمثاله من الشبان في ذلك العصر: حفظ القرآن وبدأ يدرس على الشيوخ لكي يكون فقيها كأبيه وبقية النابهين من أهل بيته، ولكنه لم يتم دراسته، لأن سن الحادية والعشرين التي خرج فيها للرحلة تدل على أنه لم ينتظر حتى يستكمل دراسة الفقه، وكانت هذه الدراسة وقتها تطول فلا يفرغ الشاب من دراسته لها في حدود الثلاثين".[4]

أما عن أخلاقه وصفاته يقول ابن حجر "فابن بطوطة شديد الحرص على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي، فلا يكاد يسمع برجل صالح أو عالم إلا وسارع إلى لقائه والتبرك بدعائه وهو كثير الزواج

1 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 488.
2 .أغناطيوس كراتشوفسكي،تاريخ الأدب الجغرافي،ص 422.
3 .ابن بطوطة ,رحلة ابن بطوطة ،ص 511
4 .حسين مؤنس ،ابن بطوطة و رحلاته ،تحقيق و دراسة و تحليل ،دار المعارف ،ط1، 1980، ص17.

ففي كل بلد يحط رحالة بها يتزوج عازما على أن تكون معه ولكن نراه لا يلبث أن يفارقها لعدم قبول الزوجة مفارقة وطنها".[1]

مـؤلفـاتـه:

لم يترك ابن بطوطة خلفه أي إنتاج أدبي سوى لأسفاره على شكل كتاب عنوانه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "الشهير بالكتاب رحلة ابن بطوطة، والتي صاغها له ابن جزي بطلب من السلطان المغزي أبو عنان فارس المريني الذي أعجب برحلاته ابن بطوطة و قصصه المشوقة.

وهو عمل مشترك قام به ابن بطوطة وابن جزي وصبغة كل منهما بطابعه الخاص فجعل فيه ابن بطوطة روحه التي تحب العجائب والغرائب، وجعل فيه ابن جزي أسلوبه.

- **رحلة ابن بطوطة:**

يعتبر الرحالة المغربي ابن بطوطة من أكثر الشخصيات التاريخية التي ارتبط اسمها بالترحال والسفر والمغامرات، ذلك لأن النفس المتقدة في جسد ابن بطوطة الشاب ابن الثانية والعشرين جعلته يطوف الممالك والأمصار باحثا عن كل جديد، مكتشفا لما هو مكنون في نفوس من رأى، وفي أول رحلة له مر ابن بطوطة بالجزائر وتونس ومصر وفلسطين وسوريا ومنها إلى مكة، وكان دافعه الأول هو أداء فريضة الله وزيارة قبر الرسول ﷺ حيث يقول "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ".[2]

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات وقد استغرق في مجموعها نحو تسع وعشرين سنة وكان أطولها الرحلة الأولى التي لم يترك من خلالها ناحية نواحي المغرب والمشرق إلا زارها.

وبعد أن استقر ابن بطوطة في بلاد السلطان أبي عنان المريني بمدينة فارس في نهاية 754ه "استدعاه السلطان فلحق ببابه وأمره بتدوين رحلته".[3]

وأمر السلطان أبو عنان كاتبه ابن جزي بكتابه ما يميله عليه ابن بطوطة مما علق بذاكرته من أسفاره ورحلاته، قال ابن جزي "ونفدت الإشارة الكريمة بأن يملي ما شاهده في رحلته من الأمصار،

1 .أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج3، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، د ط، 1349ه، ص 480
2 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 33
3 .ابن الجطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 274

وما علق بحفظه من نوادر الأخبار، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار، وعلمائها الأخبار، وأوليائها الأبرار، فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر، وبهجة السامع والنواظر، من كل غريبة، أفاد بإجلائها، وعجيبة أطرف بانتحائها".[1]

والمؤرخون الذين كتبوا عن ابن بطوطة اتفقوا بأن أملى رحلته من الذاكرة والتي اعتمد عليها اعتمادا مطلقا، فقد كان يتمتع حقا بذاكرة ممتازة.

نعلم أن ابن بطوطة، وإن كان فقيه أو قاضيا، لم يكن هو مؤلف الرحلة التي تحمل اسمه فهو قد اكتفى بإملائها وسرد الحكايات والأخبار التي تتضمنها، أما كاتب الرحلة ومحجرها، فهو شخص آخر يدعى ابن جزي كما ذكرنا سابقا ولم يكن من تأليف الطنجي سوى مدونات وتقاييد يسيرى أمد بها ابن جزي، مع العلم أن أسفار ابن بطوطة قد اتصلت ثلاثين سنة أو تكاد، في حين أن كتابة الرحلة لم تحصل إلا بعد الفراغ من التنقل والانتهاء من زمان السفر وإن أغلب ما دونه ابن بطوطة قد ضاع منه في أسفاره أو أنه قد سلب منه جملة ما سلب من متاعه حيث يقول "وكنت قد قيدت من ذلك كثيرا وضاع مني في جملة ما ضاع لي لما سلبني كفار الهند في البحر"[2] فإن المعمول عليه عند ابن بطوطة هو ما حفظته ذاكرته و اعتمل في صدره، والعمدة في الرواية والإخبار ما سلم من أثر النسيان.

وقد ترك ابن بطوطة لابن جزي الحرية في نقل معانيه التي قصدها بألفاظ ذلك المبدع، كما أن الرحلة مرتبة ترتيبا تصاعديا من نقطة البدء حتى آخر مطاف الرحلة بعودته إلى وطنه، فطابع الرحلة الذي يتكرر في كل الفصول يمكن في الوصف السريع للأمكنة والانطباع الشخصي عمن قابل من الرجال، فليس هناك هدف آخر إلا تحقيق ذلك مع سرد ما أمكن من مفارقات أو طرائف الرحلة.

كما دونت "رحلته هذه وتحدث فيها عن البلدان التي زارها، والشعوب التي عرفها متحدثا عن مواقع البلدان والمسافات بينها، كما وصف مظاهر العمران وألوان الحضارة".[3]

قد انتهى ابن جزي من تدوين الرحلة وتقييدها وختمها فيقول "انتهى ما لخصه من تقييد الشيخ أبي عبد الله محمد ابن بطوطة أكرمه الله، ولا يخفي على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر، وقال رحال هذه الملة لم يبعد، ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة ،واتخذ حضرة فاس قرارا ومستوطنا بعد طول جولاته".[1]

1 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص4
2 .بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص182
3 .المرجع نفسه، ص9

كما لقيت من عناية الباحثين ما هو جدير من الاهتمام "فقد طبعت رحلة ابن بطوطة في باريس مع ترجمة فرنسية في منتصف القرن الماضي على يد المستشرقين ديفريمري Defremery وسانجنتي Sanguinette وطبعت في القاهرة طبعتين عربيتين ونشر الأستاذ جب gibb ملخصا لها بالإنجليزية في سلسلة Broaduay travelle سنة 1929 قدم له بتصدير طيب تحدث فيه عن الرحالة وعصره".[2]

إن أهم ما يميز رحلة ابن بطوطة عن غيرها من الرحلات التي سبقته أو تلته أنها "امتازت بطولها وحفلت بتنوع حوادثها فجمعت الكثير من الغرائب والعجائب التي أثارت الشك لدى الكثير من الكتاب، وحوت الكثير من المعلومات عن أحوال المسلمين الاجتماعية و السياسية والاقتصادية، واستغرقت رحلته فترة تزيد على ثمانية وعشرين عاما سلك فيها طريق البر والبحر"وكان ابن بطوطة حريصا على الاتصال بالملوك لينال أعطياتهم ويتمكن من مواصلة رحلته مما يدل على علو مكانته الاجتماعية".[3]

وهكذا تزخر رحلته بالمعلومات التي يفيد منها الباحثون في الأنثروبولوجيا والأثنوغرافيا، وعلم الاقتصاد... ذلك أن الرحالة كان دائم الوقوف على الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي لفتت انتباهه وأثارت فضوله، فاعتبر بعضا منها يدخل في الطرائف والعجائب والغرائب، وانتقد بعضها حين يبدو التعارض بينهما وبين تعاليم الإسلام.

تضمنت رحلة ابن بطوطة صورا رائعة وتفاصيل ساحرة لجزء كبير من العالم في القرن الرابع عشر الميلادي، وقد ذكرت تقريبا جميع البلدان الإسلامية وبعض البلدان غير الإسلامية مثل الصين وجافا، وقد سرد الرحالة المغزي ابن بطوطة مغامراته بطريقة حيوية عالية ووصف الأماكن التي زارها وصفا بليغا، إذ صور ما شاهده من الحيوان والنبات بلغة جذابة، وذكر بأنه لم يلتق فقط مع مؤمنين وكرماء الله وعلماء الدين والعلم، بل اجتمع إلى أغلب حكام وسلاطين عصره وزودهم بنصائحه وخدماته وقابلوه بالكرم والشكر والامتنان "فتحقق لابن بطوطة في رحلته الجانب السياحي، والروحي والعلم، وكان يولي اهتمامه بالجانب العجائبي والاجتماعي، فكان شديد الاهتمام بالناس وعاداتهم وتقاليدهم ولاسيما العلماء والأولياء، في حين كان قليل الاهتمام بوصف المدن والأرض".[4]

فقد تميز نص رحلة ابن بطوطة بطابعه الموسوعي ويجد فيه الباحثون في مختلف ميادين العلم معلومات مهمة وثرية عن الأديان والآثار وفنون السحر والمدارس والحفلات والأطعمة والملابس لذا ما هو عجائبي وغرائبي وكل تفاصيل الحياة الاجتماعية خاصة.

1 .نجيب زكي محمود، الرحالة في العصور الوسطى، ص 137
2 .المرجع نفسه، ص 138
3 .عواطف محمد يوسف نواب، رحلات مغربية وأندلسية، ص129
4 .علي إبراهيم الكردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص 66

إن ما يميز رحلة ابن بطوطة أنه دون رحلته فيما تغافل الآخرون عن تدوينها، فاكتفوا مقابل ذلك بسردها شفويا، حتى انتهت بوفاتهم ووفاة من سمعوا منهم، وتتجلى مظاهر تفوقه على أصحاب الرحلات المكتوبة في اتساع البقعة الجغرافية للمناطق التي زارها وبذلك يكون قد اختلط بثقافات عديدة، وتعرف على حضارات عديدة واطلع على أحوالها، منها الحضارة الإسلامية في المشرق وفي المغرب معا، والحضارة الصينية والحضارة الهندية وغيرها.

- **من أهم ما أثار ابن بطوطة في رحلته:**
  - ✓ **وصف الشخصيات:**

كما أشرنا الرحلة شريط تسجيلي لأحداث شاهدها الرحالة بأم عينه فهي تنتمي إلى الواقع، مما يجعل منها سردا قابلا للتداول في أزمنة متباينة وأمكنة مختلفة تخبر وتصف عما حصل في الواقع، إذ نجد الرحالة يقوم بمهمة المصور فهو يصور لنا ولو جزء بسيط من الشخصية التي رآها أو جالسها أو صاحبها، ويتعلق ذلك بما أثر فيه من تعامل هذه الشخصيات معه، ما دفعه الأمر إلى الكشف عن حال

هذه الشخصيات وإظهارها على ما هي عليه سواء على المستوى الداخلي من صفات معنوية والتي ترتبط بالأخلاق والتصرفات والجود والكرم والقدرات النفسية والذهنية عموما، أو ما يتعلق بصورتها الخارجية كاللون الطول والشكل الظاهري، يلجأ ابن بطوطة إلى "رسم الصورة الخارجية للشخصية بكل مكوناتها الهندام، الهيئة، العلامات الخصوصية وما إلى ذلك".[1]

مما لا شك فيه أن ابن بطوطة لاقى في رحلته أشخاص عديدين ينتمون إلى جنسيات ولغات في أغلب الأحيان هو الدين الإسلامي.

رغم أن ابن بطوطة عمل في كل بلدة وصل إليها بلقاء سلطانه أو أميرها والتقرب منه طالبا عصاه وراجيا كرامته، إلا أن الأشخاص الذين حظوا عنده بالمرتبة الأولى من الاهتمام هم الأولياء والصالحون والمتصوفة، ورحلته حافلة بأسماء شيوخ ذوي كرامات و فوارق، ولعل ذلك راجع إلى نزعته التصوفية.

نستوضح ذلك بوصفه لسلطان شيراز فيصفه "بحسن الصورة والسيرة والهيئة، كريم النفس، جميل الأخلاق، متواضع صاحب قوة وملك".[2]

وفي وصفه لسلطان قصطمونية ذكر"وهو كبير السن، ينيف على سبعين سنة حسن الوجه، طويل اللحية، صاحب وقار وهيبة، يجالسه الفقهاء والصلحاء"[3] ففي وصفه هذا يمزج بين ما هو ظاهري ومعنوي في الشخصية، فابن بطوطة وفق كل التوفيق ووصف الأشخاص والجماعات، مما جعلنا نشعر كأنهم معنا.

كما تحدث عن أبو عنان ووالده أبو الحسن من ملوك بني مرين، والسلطان محمد أوزيك، والملك الناصر، وملك القسطنطينية والكثير من الملوك والأمراء، إلا أن السلطان الذي حظي عنده باهتمام أكبر هو سلطان محمد بن تغلق الذي كان يكرم الغرباء ويثق فيهم أكثر، الذي وصف بالطه بكل تفاصيله، وكرمه وروعه وبطشه، ولعل في ذلك جرأة من الرحالة، حين يثني على ملك الهند ويمدحه، وهو بين يدي سلطان المغرب أبي عنان، ولا عجب في ذلك ،فقد أكرمه السلطان وولاة الفضاء بدلهي، وأرسله في بعثة للصين.

1 .إبراهيم بحراوي، تحليل خطاب الأدبي، دار الآفاق الجزائر، ط 1، 1999م، ص105
2 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص216
3 .المرجع نفسه، ص342

يحرص ابن بطوطة عند دخول أي مكان أو أي بلد بعد ذكر أوليائه وسلاطينه على ذكر قضاته وأئمته، مما يلفت النظر أنه رغم كونه شيخا وعالما ومتوصفا يتحدث عن نساء بعض البلدان ولا يجد حرجا في ذلك فيصف جمالهم و بهائهن، وحسن معا ملتهى.

إن من أهم أوصاف الرحالة وملاحظاته الاجتماعية تلك التي خص بها المرأة فالقارئ يستطيع تمثل وضعية المرأة أنذلك في المناطق التي شملتها الرحلة، وهو الخبير بتفاصيلها الدقيقة وعن طرق معاشرتها ومخالطتها فلقد تزوج في رحلته الواسعة أكثر من عشرين مرة وأنجب أكثر من سبعين ولدا.[1]

وهكذا نلاحظ أنه لا يستغني عن ذكر المرأة، فتعرف على المرأة عند أهل الماجر والأتراك أعظم شأنا وأرفع منزلة من الرجل، وأنها في بلاد طوالسي وجزر المالديف والهند ارتقت إلى أعلى المناصب، فكانت ملكة وسلطانة وأميرة قائلا عن سلطنة مالديف "ومن عجائبها أن سلطانتها امرأة وهي خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن سلطان صلاح الدين صالح البنجالي".[2]

وأوصافه تتسم بالشمول واللفتة الدالة التي تلم بالجزيئات والتفاصيل فحديثه عن المناطق الأسيوية التي اشتهرت نساؤها بالجمال يدخل ضمن هذه النزعة الوصفية الشاملة، فعمله فريد في بابه إذ استطاع انجاز خريطة لجمال المرأة بآسيا، تمكن من خلالها التعرف على أن نساء بلاد الروم فائقات الجمال مشاهيات الكمال.

- ✓ **وصف الأماكن:**

لعل الأماكن هي أكثر الأمور التي شدت ابن انتباه بطوطة، فلا تكاد توجد مدينة زارها ولم يصفها أو يتحدث عنها، إذ حظيت عند ابن بطوطة الأماكن المقدسة اهتماما كبيرا إلى جانب الأولياء، كالزوايا أبوابها وزخارفها، وتحدث عن الزوايا و نشأتها والأوقاف التابعة لها، يقول في وصف المسجد القديس"وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال أنه ليس له على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وأن طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا، وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث".[3]

وهنا ابن بطوطة يؤكد أن المسجد فائق الحسن بالغ الاتساع، اتسم وصفه للمسجد بالدقة الشديدة التي تجلت في تحديد طوله وعرضه بالذراع، ونظرا للمكانة السامية التي يتمتع بها المسجد الأقصى وقبة

1 .ينظر أنيس منصور، أعجب الرحلات، ص23
2 .حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص 183
3 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص54

الصخرية" وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغر بها شكلا، قد توافر حظها المحاسن، وأخذ من كل بيعة بطرق".[1]

بدت قبة الصخرة في عيني ابن بطوطة عجيبة متقنة وافرة الحظ من الحسن وقد قامت على مرتفع وسط ساحة المسجد الأقصى، ويرتقي إليها بدرج رخامي.

ذكر ابن بطوطة عدة أمثلة من المدن أو بالأحرى كل مدينة حط بها ونزل في إقامتها وأعجب بها وصفها ونسب إليها سماتها وخصائصها نذكر منها مدينة حلب وارتباتها بالنبي إبراهيم "حلب إبراهيم، لأن الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه، كان يسكنها "[2]. ومدينة المعرة التي كانت تسمى ذات القصور حتى توفي بها ابن النعمان بن بشير الأنصاري فسميت النعمان.

أما عن المعالم القديمة وأثار الغاربين فيها معنى مدينة ضخمة ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها.

إن ابن بطوطة وهو يعدد من خصائص المدن والقرى التي مر بها كان يستحضر إلى جانب ذلك البساتين والأنهار والأودية ونظافة هذه المدن، ومقياسه الأول تعدد الحمامات بها ووصفها وإعجابها بها ثم شوارع هذه المدينة وأسواقها فيقول عن سوق مدينة ظفار"والسوق خارج المدينة يعرف بالحرجاء، وهي من أقذر الأسواق و أشدها نتنا، وأكثرها ذبابا، لكثرة ما يباع بها من الثمرات والسمك".[3]

لقد تطرق ابن بطوطة في رحلته إلى كل الأماكن التي مر بها ومكث فيها ونقل لنا صورتها بكل حيوية، ما حل بمدينة أو بلد إلا ووصفها وصفا دقيقا فكل ما جاز على نظرة نقله وسجله، ذلك أن المكان يتسم بالثبات والاستقرار على خلاف الزمان الذي يتسم بالتحول و الاندثار، ويسمح المكان باسترجاع ما معنى من أحداث، كما أن ابن بطوطة لم يقتصر على وصف المدن فقط بل كان يقرنها بأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها، وبأشهر ملوكها وحكامها، وعليه فالمكان نافذة يطل منها ابن بطوطة على التاريخ.

نجد في كثير من محطات الرحلة وصفا للمدن والأماكن التي زارها ابن بطوطة فيصبح المكان "لا كشهادة وثائقية بل كأنشودة إنسانية تمجد عظمة الإنسان وعظمة مغامرته الحضارية الإنسانية "[4]،

1 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص55
2 .المرجع نفسه،ص 68
3 .المرجع نفسه، ص 276
4 .أحمد طالب، جماليات المكان في القصة الجزائرية القصيرة، دار المغرب للنشر والتوزيع ،2005م، ص21

فتشترك بذلك المشاهد والمناظر الطبيعية في رسم لوحات حسية ناطقة والوصف خير معير على ذلك لخلق أثر معين من الإثارة وفسح المجال للخيال التصويري.

لقد أعطى ابن بطوطة بوصفه هذا حقيقة تجعل القارئ يقوم بعملية قياس منطقي، فما دامت هذه المدن والأماكن حقيقية متمثلة على أرض الواقع، إذ فكل الأحداث التي يحكيها الرحالة هي كذلك تحمل مظهر الحقيقة، فالمكان يعبر عن الفئات الاجتماعية ومستواياتها وظواهرها الحضارية المختلفة.

✓ **وصف الحيوان والنبات:**

بما أن الرحلة تعد نوعا أدبيا مختلف عن بقية الأنواع الأخرى لأنه يكثر فيه عنصر الوصف فزيادة على وصف الشخصيات والأماكن نجد أن الرحلة تتخصص وتنفرد في جانب من جوانبها إلى وصف الأشياء والحيوانات فهي بمثابة الوثائقي التسجيلي الذي لا يغفل شيئا إلا وذكره، إذ أنه لا يصف الأشياء العادية بل يصف ما يجد فيه غرابة وذلك لعدم رؤيته إياه في بلده أو في بلد آخ، فيطلق العنان لحاسته الوصفية برسم معالمه محاولا أن ينقل لنا صورته كي يتسنى للملتقي التعرف عليه.

وصف ابن بطوطة أنواعا عديدة من الحيوانات منها الواقعي كالجمال والفيلة والخيول والأسماك... ومنها الخرافي كطائر الرخ، يقول "ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء، وظهر الضوء فيما بينه وبين البح، فعجبنا من ذلك، ورأيت البحرية يبكون ويودعون بعضهم بعض، فقلت ما شأنهم؟ فقالوا: إن الذي تخيلناه جبلا هو الرخ، وإن رآنا أهلكنا".[1]

لم يفصل ابن الحديث في وصف الحيوانات بل يكتفي بالتركيز على ما يميز الحيوان عن غيره، حيث يقول في وصف وحيد القرن "...فخرج علينا الكركدن، وصورته أنه حيوان أسود اللون، عظيم الجرم، رأسه كبير، متفاوت الضخامة ولذلك به المثل الكركدن رأس بلا بدن وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف، وله قرن واحد بين عينيه".[2] وبهذا الوصف ينشط الرحالة مخيلة القارئ كي يضمن ويستحضر صورة هذا الحيوان، وأيضا ذكره للنار جيل فيقول "وهو جوز الهند، وهذا الشجر من أغرب الأشجار وأعجبها أمرا، وشجرة شبه شجر النخل، لا فرق بينهما إلا أن هذه تثمر جوزا ،وجوزها يشبه رأس ابن آدم، لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ وعليها ليف شبه الشعر".[3]

1 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 659
2 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص408
3 .المرجع نفسه، ص 271

فنجد أن ابن بطوطة يمتلك حسا وصفيا دقيقا وعاليا، أطفى على رحلته أسلوبا جديدا مختلفا عن بقية الأنواع الأدبية الأخرى، وذلك لكثرة حضوره في نص الرحلة فأكسبها بذلك طابعا وبصمة مختلفة.

اهتم ابن بطوطة أيضا بوصف النباتات المزروعة منها والبرية وعادة ما يهتم بالشكل الخارجي للنبات أو البذور من حيث الحجم والنوع واللون، ثم يعرض للطريقة التي يزرع ويجمع بها ومن ثم طريقة طبخه وأكله، وفي حديثه عن الزراعة في الهند يقول "وليس هناك من أشجار بلادنا شيء ما عادا النبق، لكنه عندهم عظيم الجرم، تكون الحبة منه بمقدار حبة العفص، شديد الحلاوة، ولهم أشجار كثيرة ليس يوجد منها شيء ولا سواها، فمنها العنبة وهي شجرة تشبه أشجار النارنج".[1]

النص الرحلي البطوطي لا يترك لا كبيرة ولا صغيرة شاهدها إلا وتحدث عنها فلم يفوت عليه شيئا حتى النباتات أعطاها بالا وخصص لها مجالا في التكلم عنها ووصفها، وإخبارنا عنها، إذ فصلها تفصيلا، فعند حديثه عن نباتات الهند وجد ما يشبه في بلادنا وهو النبق الحلو المذاق، هذا إن دل على شيء، إنما يدل على صدق الرحالة وحقيقة وجود هذا النبق، يقودنا إلى صدق الوصف ومصداقيته.

- ✓ **وصف الحياة الاجتماعية:**

كلما دخل ابن بطوطة بلدة والتحم بأهلها، إلا وتحول إلى إثنوغرافي يصف ويفسر ويقارن ما لفت انتباهه من عادات وتقاليد، ويقول ابن بطوطة عن الموائد الصينية، بما لها من تقاليد خاصة، تختلف كثيرا عن طرائق التقديم في مناطق أخرى مجاورة: "يؤتى بمائدة عليها طبق نحاس، وتأتي جارية حسنة ملتحفة بالحرير فتقدم قدور الطعام ومعها مغرفة نحاس كبيرة، فتغرف بها الأرز مغرفة واحدة، وتصب فوقها ملعقة سمن، فيأكل الإنسان لقمة وإذا انتهوا أتوا بالخضر مطبوخة بالسمن ثم أخيرا يشربون اللبن الرائب".[2]

كان اختيار الأكلات التي تناولها ابن بطوطة بنفسه، والتي لم يتناولها أيضا وقد عافت نفسه بعضها، وكذا رفض تناول بعضها الآخر لأسباب دينية مثلما فعل مع مأكولات الحيوانات الغامضة والكلاب والقطط التي تتناولها بعض شعوب جنوب شرق آسيا، وكذا رفض شرب النبيذ المصنوع من تخمير بعض الفواكه والحبوب، وأيضا البوزة، وفي مجملها تعبيرا عن كونها تعكس البعد الاجتماعي، من مظاهر العادات والتقاليد، وكذا المعتقدات والأفكار الدينية.

---

1 .المرجع نفسه، ص 418
2 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص567

كما تناول ابن بطوطة جملة العادات والطقوس المصاحبة أتناول الطعام وما قبله وبعده باعتبارها تناول الطعام تعبيرا عن قيم اجتماعية مثل كرم الضيافة يقول في صدد ذلك "...ولما استقربنا المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير، والفاكهة والحلواء، ثم أخذوا في الغناء والرقص، فراقنا حالهم، وطال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم".[1]

في حين تحث عن وجوده في إحدى مناطق تركيا "هؤلاء الأتراك لا يأكلون الخبز ولا الطعام الغليظ، وإنما يصنعون طعاما من شيء يشبه الأتالي أو العنب، يجعلون على النار الماء، فإذا غلى، صبوا عليه شيئا من الأتالي أو العنب ، وإن كان عندهم لحم، قطعوه قطعا صغيرة وطبخوه".[2]

إن ابن بطوطة ترصد عادات الشعوب وتقاليدهم، حيث قام بتدوينها ونشر أخبارهم، وانحاز ابن بطوطة في رحلته إلى عامة الناس، وقص عنهم ووصف أحوالهم بموضوعية ودون مبالغة، فقد عرض لتلك المأكولات المختلفة، وكذا طبائع الناس في إعدادها في هذه البلدة أو تلك، مع وصف الملامح الجغرافية للبلاد التي يزورها، سواء كانت ساحلية أو صحراوية أو جبلية أو زراعية، ثم كثيرا ما يعرض لطريقة تقديم تلك الأطعمة والمأكولات ثم المشروبات، وهو ما يبرز بعض التقاليد والقيم أيضا.

ففي مدينة منفلوط بمصر، يقول :"في هذه المدينة إحدى عشرة معصرة للسكر ومن عوائدهم أنهم لا يمنعون فقيرا من دخول معصرة منها، فيأتي الفقير بالخبرة الحارة فيطرحها في القدر التي تطبخ السكر فيها، ثم يخرج، وقد امتلأت سكرا فينصرف بها".[3]

وهنا يكشف ابن بطوطة عن مظاهر الحياة الإنتاجية للمدينة الصغيرة بصعيد مصر، والمعروف عنها إنتاج السكر، وكذا الملمح الاجتماعي الهام، بتكافل الفقراء وإتاحة فرصة تناول بعض من السكر مع الخبز، ولعلها من المأكولات التي مازالت شائعة خصوصا في أرياف مصر قال عن مكارمهم "ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها الفقراء المتقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق"[4]. هنا تحدث الرحالة عن العادات الحسنة لأهل مكة واصفا إياها بأنها من الأفعال الجميلة والمكارم التامة والأخلاق الحسنة والإيثار إلى الضعفاء والمتقطعين وحسن الجوار للغرباء.

- **أسلوب كتابة الرحلة:**

1 .المرجع نفسه، ص307
2 .المرجع نفسه، ص450
3 .ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ص45.
4 .المرجع نفسه،ص67.

لطالما استحوذت رحلة ابن بطوطة على مكانة كبيرة ومرموقة في قلوب القراء وهذا يرجع إلى أسلوبها المشوق السلس الذي استعان به كاتبها في تدوين أخبارها وحكايتها في قالب قصصي وأسلوب جذاب قريب من اللغة العامة.

ومن المعروف أن ابن بطوطة زمام الإخبار عن وقائعها و أحداثها وممليها على كاتبها الذي حبك وصاغ نصها صياغة بقيت راسخة في الأذهان متداولة قديما وحديثا "فهو ابن جزي محمد بن أحمد الغرناطي الذي أخذ مهمة تدوين وتقييد الرحلة بأمر سلطاني، فهو من كتاب الديوان للسلطان أبا عنان سلطان فاس وذلك لجمال خطة وحسن تعبيره".[1]

إن ابن بطوطة لم تكن له ملكة الكتابة بالرغم من حبه لسرد الحكايات والقصص، وهذا ما يبدو جليا وواضحا في نصوصه، فكانت لها هذه الرحلة كحصيلة عمل مشترك بين مخبر عن رحلة وكانت لها، فاختاطت تجربة ومعرفة رجلين في قالب فني أدبي يعلن عما بداخله من صنيع مميز يستحق العناية ونيل نصيب من الدراسة، فنجد أن كاتب الرحلة ـ ابن جزي ـ في كتابته للرحلة استعمل نوعين من الأساليب الكتابية هما:

- النثر المقيد: أي نثر الفواصل والأسجاع.
- النثر المطلق: هو النثر الخالي من ضوابط الفواصل والأسجاع.

أ. النثر المقيد:

نجد ابن جزي قد تفنن في المزح والخلط في استخدام الأسلوبين هذا ما تأملناه في متن الرحلة ضمن أمثلة النثر المقيد الذي تم اختياره للألفاظ المتجانسة والفواصل والأسجاع المتناسقة، نستحضر هذا المقطع من نص الرحلة "وكان إرتجالي في أيام المؤمنين وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين الذي رويت أخبار جودة موصلة الإسناد، وشهرت أثار كرمة شهرة واضحة الإشهاد، وتحلت الأيام بحلى فضيلة،ورتع الأنام في ظل رفقة وعدله".[2]

وفي مثال آخر "...ثم خرجت من هذه القرية فوصلت مدينة دمنهور، وهي مدينة كبيرة ومحاسنها أثيرة، أم مدن البحيرة بأسرها وقطبها الذي عليه مدار أمرها"[3]. وفي موضع آخر "...ثم سافرت منها إلى

1 .هلال بن ناجي ،هوامش على رحلة ابن بطوطة ،مجلة أكاديمية ،المملكة الجغرافية ع2001،18،ص 202
2 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 14-15
3 .المرجع نفسه، ص29

مدينة أسنا مدينة عظيمة متسعة الشوارع ضخمة المنافع كثيرة الزوايا والمدارس والجوامع لها أسواق حسان وبساتين ذات أخنان..."[1]

من خلال طرحنا هذا لبعض الأمثلة التي وردت في نص الرحلة فيما يخص النثر المسجع، نلاحظ أن ابن جزي استخدمه عندما يريد وصف مكان أو شخصية ما قصد تصويرها وترسيخها في الأذهان وتقريب الصورة لديهم، وذلك من خلال الجرس الموسيقي الذي يحدث وقعا وطابعا جميلا تستحسنه الأنفس، هذا ما جعله يتقيد بهذا النوع النثري الحافل بالفواصل والأسجاع، وكيف بلغ في تصنعه ذروة الفن ومدى قدرته على توفير الموسيقى وعناصر الإثارة والتشويق.

ب. النثر المطلق:

هنا نجد ابن جزي استخدم في أسلوب الرحلة النثر المطلق أو المرسل كما ظهر لنا براعته المتميزة في النثر المقيد وفي كتابته الفنية، حيث نجده حرر أجمل فصول الرحلة بتأليف أنيق وبسيط مستحب يستهوي المتلقي رغم بساطته والذي يبرهن على حقيقة عمله الذي يحتوي على أفكار وأخبار قيمة في سياقة، استطاع من خلالها أن يسمو بالمعاني والأفكار المختلفة في وضوح وتأثير وروعة، ومن الموضوعية ونحن نتحدث عن نثره المطلق أن نذكر أن بعض النصوص تظهر وكأنها مفككة غير منسجمة مع بعضها البعض وكأنها متنافرة، وهذا راجع للرحالة -ابن بطوطة- الذي ضيع جزءا من رحلته أو أنه لم يملك مذكرات رحلته عند إملائها على ابن جزي وبالرغم من ذلك نرى نثرا سمحا سليما.

ونجد أغلب نثره المطلق يكمن في وصفه الإخباري الدقيق المفصل للحياة الاجتماعية في البلدان التي زارها من عادات وتقاليد وأوضاع الحكم والدين... إلخ، وذلك في أسلوب يقوم على الحكاية والقصص الفني ونستشهدها بهذا النص في ذكره لسلطان شيراز "وسلطان شيراز في عهد قدومي عليها، الملك الفاضل أبو إسحاق بن محمد ينجو سماه أبوه باسم الشيخ أبي إسحاق الكازوري، نفع الله به وهو من خيار السلاطين حسن الصورة والسيرة و الهيئة وكريم النفس، جميل الأخلاق، متواضع، صاحب قوة وملك كبيرة وعسكري ينيف على خمسين ألف من الترك والأعاجم".[2]

ونحن نبحث في الرحلة ونستخرج خصائصها الأسلوبين يجب أن نمر بأمر في غاية الأهمية، وهو أن الرحلة كما ذكرنا سابقا حررت عن طريق المشاركة في الإملاء والتدوين، وهذا ما عرقلنا إلى

1 .المرجع نفسه، ص 52
2 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص207

الارتفاع بالأسلوب إلى المستوى الجيد والتدوين المتكامل المترابط فلغة السرد القصصي التي استخدمها الرحالة في إملاء رحلته "لغة قصصية بسيطة أميل ما تكون إلى ما يكون أن يسمى باللهجة الشخصية"[1]. بالرغم من ذلك فقد طغى أسلوب ابن جزي على سطح خطاب الرحلة وبدا واضحا تمام الوضوح.

- **طبيعة اللغة:**

أ. الألفاظ:

ما لاحظناه على الألفاظ في سياق الرحلة جاءت مألوفة بسيطة عربية ملتبسة بالألفاظ الأعجمية والعامية إلا في مواضع قليلة وهذا ما يؤكد عليه دكتور علي إبراهيم كردي "ومما يلفت النظر أن ابن بطوطة كان يشفع بعض الألفاظ الغريبة، أو الأعجمية أو المحلية، بشروحها أو بما يوضح المراد منها"[2]. وحسب ذلك فهي ألفاظ مختارة منتقاة تمثل الوضوح والسهولة، وهذا ما تقتضيه طبيعة الرحلة ومنها في الإخبار والإفصاح والتبليغ، فغرض ابن جزي وابن بطوطة معا أن يبلغ مشاهداته والإعلان عن غرائب وأماكن وحكام وشعوب وعادات وتقاليد، فكان عليه لزوما أن يعمد إلى مألوف الألفاظ ونستشهد بهذا النص "ولأهل الهند رتبته عجيبة في الجنائز أيضا زائدة على ذلك: وهي أنهم يجتمعون بروضة الميت صبيحة الثالث من دفنه وتغرسن الروضة بالثبات الرفيعة ويكسي القبر بالأكسية الفاخرة وتوضح حوله الرياحين من الورد والنسرين والياسمين، ذلك النوار لا ينقطع عندهم، ويأتون بأشجار الليمون والأترج...".[3]

كما نرى في هذا النص أن ألفاظه مألوفة سهلة قصد الإعلام والإخبار عن عادة أهل الهند في مراسيم جنائزهم وتصويرها للمتلقي وألفاظه بسيطة معبرة تناسب الحدث الذي يصفه وتشق معه.

ب. ملائمة اللفظ معناه:

نعني بذلك أن تكون الألفاظ تابعة لمعانيها والمعاني مصورة ومجسدة في ألفاظها فلكل مقام يناسبه بالضرورة "ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والإفصاح في موضع الإفصاح...".[4]

كما أن ابن جزي لجأ في مناسبة اللفظ للمعنى إلى الجمل الاسمية والجمل الفعلية في المكان المناسب ومن الجمل الاسمية "ثم سافرت في أرض رملة إلى مدينة دمياط وهي مدينة فسيحة الأقطار

1 .حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص31
2 .علي إبراهيم كردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، ص69
3 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص107
4 .داود سلوم، النقد المنهجي عند الجاحظ ، مكتبة النهضة العربية ، ط1،1960،ص101.

متنوعة الثمار،عجيبة الترتيب آخذه من كل حسن بنصيب "[1]. وفي وصفه مدينة بغداد "مدينة دار السلام، وحضرة الإسلام، ذات القدر الشريف والفضل المنيف مثوى للخلفاء ومقر العلماء...".[2]

ومن شواهد استخدام الجمل الفعلية ما جاء في وصفه لمجريات غزوة بلاد الهند "ولما أردنا السفر من مدينة أبو هر خرج الناس منها أول النمار، وأئمت بها إلى نصف النهار في لمة من أصحابي، ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارسا منهم عرب ومنهم أعاجم، فنخرج عليها في تلك الصحراء ثمانون رجلا من الكفار وفارسان، وكان أصحابي ذوي نجدة وعي فقاتلناهم أشد القتال فقتلنا أحد الفارسين منهم..."[3]

نجده يستخدم الجمل الفعلية الواصفة لتأكيد أخباره وأحداث رحلته فيصور لنا من خلال استخدامه للجمل الفعلية حركية المشهد، ليفسح المجال للقارئ بتتبعه ومثال ذلك ذكره لثورة هلاجون "ولما بلغ السلطان إلى دولة آباد ويعد عن بلاده، ثار الأمير هلاجون بمدينة لاهور، وادعى الملك، وساعده الأمير فلنجد على ذلك وصيره وزيرا له، واتصل ذلك بالوزير خواجه جهان وهو بدلهي فحشد الناس، وجمع العساكر وجمع الخرسانين وكل من كان مقيما من الخدم بداهي، أخذ أصحابه وأخذ في الجملة أصحابي...".[4]

نلاحظ استخدام ابن جزي للأفعال زاد من جمالية الوصف وأعطاه طابعا خاصا بتوظيف للأفعال التي تخدم المعاني.

- **التصوير البديعي:**

أ. الفواصل و الأسجاع:

إن للقارئ لرحلة ابن بطوطة يجد في طيات مفرداتها وكلماتها شيئا من الإمتاع والمؤانسة، وذلك نتيجة الجرس الموسيقي الذي أبدع ابن جزي في استحضاره بين الفنية والأخرى في محطات وصفه كما عرفنا ذلك سابقا في النثر المسجع.

المتمعن في مدونة الرحلة يجد أن ابن جزي قد وظف وتشبت المحسنات البديعية واللفظية في نص الرحلة، وتلك ضرورة يقتضيها المستوى الحضاري والفني في ذلك الوقت فالتزم بهذا الأسلوب بدءا من عنوان الرحلة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "فكان حريصا على تسجيل العنوان

1 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص33
2 .المرجع نفسه، ص221
3 .المرجع نفسه، ص221
4 .المرجع نفسه، ص410

ليكون الواجهة الأكثر إثارة وجذبا للقراء، ومن حلاوة السجع الذي يمتع الأذن والعين معا، نورد مثال من نص رحلته "ثم وصلنا في أول جمادى إلى مدينة الإسكندرية، حرسها الله وهي الثغر المحروس والقطر المأنوس، العجيبة الشأن الأصيلة البنيان، بها ما شئت من تحسين وتحصين، ومآثر دينا ودين، كرمت مغانيها ولطفت معانيها".[1]

فهذا المثال يفرض علينا أن نقر ببراعة ابن جزي وحسن استخدامه لهذا المحسن البديعي، فجاء السجع في هذا المثال متساويا متوازيا ينمر عن تمكن صاحبه منه في تلوين وزخرفة نصه.

والحقيقة أن ابن جزي استعماله للسجع لم يمنعه من إيصال المعنى وما يريده من خلاله، بل أوصله إلى المتلقي بخفة وسهولة جعلته يرسخ في ذهنه كما يقول فيه الجرجاني "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه حتى تجده لا ينتقي به بدلا ولا تجد عنه حولا ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه و أحقة بالحسن أولاه..."[2] وهذا الذي جعلنا نتلذذ عند قراءتنا لنص الرحلة.

ب. الجنـــاس :

هو لون آخر استعان به ابن جزي في أسلوبه ولكنه لم يكثر منه بل ظهر هنا وهناك في شتات النص كذكره لإحدى أئمة الإسكندرية ومنهم الإمام العالم "الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الأعرج من كبار الزهاد وأفراد العباد"[3]، ولكن هذا اللون قليل الورود في نص الرحلة لا نكاد نعثر عليه.

- **المحسنات المعنويـــة:**

أ. الطبــاق:

نجد ابن جزي لم يكثر من استخدام هذا المحسن البديعي ونستشهد بالمثال التالي: "ثم وصلت إلى مدينة مصر (...) مجمع الوارد والمصادر، ومحط رحل الضعيف والقادر وبها ما شئت من عالم وجاهل وجاد وهازل وحليم وسفيه ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومنكر ومعروف.." [4]

ب. التكـرار:

1 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص20
2 .عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1968م، ص15
3 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 24
4 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص26

مثل ذلك في الرحلة "وسافرت من هذا البلد إلى مدينة قوص، مدينة عظيمة لها خيرات عميمة بساتينها مورقة، وأسواقها مونقة ولها المساجد الكثيرة والمدارس الأثيرة"[1]، فنجده كرر لفظة المدينة مرة واحدة، واستعان بالضمير الذي يدل عليها وهذا النوع من التكرار هو السائد في نص الرحلة.

ج. التنـــــاص:

يبدو أن رحلة ابن بطوطة تحمل الشيء القليل من التناص الذي نلمسه من خلال قراءتنا الملكة، لأن أدب الرحلة ليس كغيره من الأنواع الأدبية التي تعتمد على مصادر ونصوص سابقة فهي نوع أدبي حر يعتمد على الوصف بالدرجة الأولى، فهي عبارة عن تقرير حقيقي يصور الواقع وبالتالي يمكننا أن نسمي أدب الرحلة بأنه أدب لا يقلد، بل نقصد ذلك التناص الذي ورد عرضا من خلال كاتب الرحلة في استخدامه لتعابير مألوفة لدى القارئ سابقا، فنجد التناص مع السيرة الشعبية والتناص مع القرآن الكريم ونستشهد فيه بالمثال التالي: "ثم وصلت إلى مدينة مصر، هي أم البلاد وقرارة فرعون ذي الأوتاد..."[2]. التي أخذها من سورة الفجر قال تعالى:"...وثمود الذين جابوا الصخر بالواد(9) وفرعون ذي الأوتاد (10)"[3] وفي مثال آخر يورده في حكاية من حكاياته "...وأخرجت المرأة جواريها فتعلقت به، وأدخلته إلى داخل الدار، روادته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هبت لك".[4]

فالتناص يدل على تشبع ابن جزي المعرفي واطلاعه على نصوص أخرى ما جعله باديا في كتابه للرحلة باستخدام مفردات بين الفنية الأخرى، سواء كان ذلك بوعي أو بغير وعي وخدمت وطبعت الجانب الأسلوبي للرحلة.

- **الاستشهاد بالشعر:**

إن تضمين النصوص بأبيات شعرية هو من تقاليد النثر العربي القديم، إذ يعد عنصرا مهما من عناصر عدة الأديب الفنية في ذلك الوقت، ذلك أن الشاهد مهما كان نوعه يقدم له الحجة وإمكانية الإقناع والتأثير والوصول إلى عقل القارئ هذا ما نجده لدى كاتب رحلة ابن بطوطة، فللشعر مكانة لا تقل أهمية فهو بيان العرب.

من خلال استحضاره ابن جزي لهذه الشواهد التي يريدها بها إبراز سعة ثقافته واضطلاعه ومقدرته الأدبية، كما يصفه الدكتور حسني محمود "وهو في ذلك إنما يحاول دون ريب إثبات اضطلاعه

1 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص52
2 .سورة الفجر، الآية 9- 10
3 .ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص34
4 .سورة يوسف، الآية23

و قدرته الأدبية وتطعيمه نص الرحلة ليكسب هذا التزويق كلام صاحبها حيوية أكثر تقربه إلى النصوص الأدبية".[1]

ومع ذلك أن استشهاد ابن جزي بالأبيات الشعرية في نص الرحلة قد أكسبها رونقا وأدبية جمالية، وهي محاولة قيمة تأخذ في الحسبان وبعين الاعتبار.

- **العنونـــة في الرحلـــة:**

يشكل عنصرا يدخل في سياق العتبات في أي نص بالإضافة إلى المقدمة والبداية باعتبارها: "علامات ومسارات ومشاهد لتفكيك بنية موازية للنص الرحلي وتشغل فضاء مرآتيا"[2]. فالعنوان هو المحور الأساسي لأي عمل أدبي فهو مفتاح للدخول إلى مناطق النص العميقة، وكل ما في النص مستند عليه.

وقد يأتي العنوان مفسرا بعض الشيء كما يمكن أن يعبر عن موقف أو يلخص مجموعة من الأفكار والآراء أو خبر مثل ما نجده في رحلتنا التي أعطاها صاحبها عنوان "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "فنجد هذا العنوان مناسب وله علاقة بعمله لأنه يلخص ما بداخله، فالعنوان الذي اختاره الرحالة لرحلته كان بمثابة افتتاحية عامة مما يجعله جزء لا يتجزأ منه، وإضافة إلى أن العنوان يعين طبيعة العمل ويحدد القراءة المناسبة له فإنه يبين قصد الرحالة من رحلته ويوضح هدفه منها.

عندما نقرأ عنوان رحلته ابن بطوطة نجد العنوان يوحي إلى أن الرحلة مليئة بالعجائب والغرائب هذا من جهة، وفي قراءة أخرى نجد هدفه منها اجتماعي إيديولوجي لأنه ذكر الأمصار والعنوان في حد ذاته يرمز إلى المغامرة والاستكشاف والإخبار عن أشياء مثيرة، بذكر غرائب الأسفار، والشيء البارز والجديد في أدب الرحلة الذي يتقدم صدارة العمل بل نجده يحتوي على عناوين صغيرة أخرى متفرعة عن العنوان الرئيسي، يستخدمها الرحالة عندما ينتقل من وصف شيء إلى آخر و من وصف عادات وتقاليد وحكايات وغرائب شعوب إلى أخرى، للدلالة على انتقاله من بلد لآخر ونقل عجائبه وأخباره فطبيعة الرحلة تتطلب تلك العنونة.

1 .حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص32
2 .شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، ص169

وهذا ما يتجسد في رحلة ابن بطوطة التي نالت مكانة هامة لما تحمله في طياتها من مواضيع متنوعة وأخبار وعجائب الدنيا، وأمكنة جغرافية تفتحنا على العالم زيادة على المواضيع الاقتصادية والدينية والثقافية والعلمية.

إذ نجدها طرحت العديد من القضايا وتحدثت عن عادات وتقاليد مختلف الشعوب وطقوسهم الدينية والاجتماعية ووصفها وصفا دقيقا شاملا وما عرف ابن بطوطة دقة الملاحظة وفضوله وتطلعه لاكتشاف المعرفة وإهداؤه لاكتشاف الأشياء الجديرة بلفت النظر والتسجيل، قال شوقي ضيف "لم يترك ابن بطوطة بلدا نزل به إلا وتحدث عن أهله وسلطانه وعلمائه وقضاته، وبذلك كانت رحلته معرضا كبيرا لحياة الأمم والأقاليم التي نزل بها من الوجهتين السياسية والاجتماعية وكانت فيه نزعة دينية قوية فأطال الوقوف عند رجال الدين وأمور الإسلام وزوايا المتصوفة".[1]

1 .شوقي ضيف، الرحلات، ص 98

يجمل بنا الآن بعد أن قطعنا شوطا من العمل أن نرجع إلى الخلف وتنظيم فيما استطعنا الوصول إليه من نتائج دون ادعاء الوصول إلى الهدف المنشود أو استفراغ الموضوع، لأن هذا النوع من الأدب واسع والمشاركين فيه كثير وأنواعه كثيرة متناثرة، يصعب الإلمام بها، بل يستدعي كل نوع منها بحوثا ودراسات متكاملة، فدراستنا تدخل ضمنه كنوع من الدراسة التاريخية والوصفية في آن واحد.

يتبين لنا من خلال الدراسة مما سبق رصده من التعاريف أن الرحلة فن متجذر في الأدب، لها خصوصيات، حيث استطاعت أن تفرض كينونتها واستمراريتها من خلال ما تجسده من معارف ذات تنوع موضوعاتي، فهي مستقاة من الواقع ما جعلها منبعا مهما الاستقاء المعلومة الجغرافية والتاريخية والاجتماعية فضلا عن احتوائها على العديد من الآثار الأدبية، كان ذلك بفضل الرحلة لحرصه على تضمين رحلته على أمكنة واحدة لها حضور واقعي التي أبرزها في قوالب مختلفة من خلال استخدامه تقنية الوصف التي ميزت خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات.

استطاع أدب الرحلة أن يجعل لنفسه حيزا ومكانة مرموقة في الأدب باعتباره فنا مفتوحا له قابلية احتضان جميع المعارف والعلوم والفنون هو أقدر الفنون على التعريف بالواقع ونقل صورته.

ونجد ابن بطوطة واحد من بين الرحالة الذين استطاعوا أن يجسدوا الخصائص الفنية للأدب في نصوصهم الرحلية، حيث بين الفينة والأخرى يدعِّم نصوصه بحكايات مشوقة ممزوجة بالطابع الواقعي والعجائبي ناقلا لصورة واقعه، ليخرج لنا رحلته في بناء أدبي متكامل وقائم بذاته والذي تجلى في كتابته ابن جزي بدوره في أسلوب رائع بصياغته للرحلة في قالب لغوي جيد، مفرداته بسيطة، بعيدا عن التكلف والصنعة، هذا ما جعل الرحلة منسجمة ومتناسقة، فعلى ابن جزي الأسلوب في صياغة الرحلة، وعلى ابن بطوطة الإفصاح والإخبار عما صادفه، ذلك ما جعل رحلة ابن بطوطة تتميز بالاتساع الفني وغناها بأشكال السرد الحكائي والإخباري.

❁ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بحراوي، تحليل خطاب الأدبي دار الأفاق الجزائر، ط1، 1999.
2. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط مكتبة الشروق الدولية مصر، ط4، 1425ه/2004م.
3. ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، دار أحياء العلوم بيروت لبنان، ط1، 1407ه/1987م.
4. ابن جبير، رحلة ابن جبير، تقديم تسليم بابا عمر، موفم للنشر، رعاية الجزائر، د.ط، 1988.
5. ابن حوقل، صورة الأرض مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ط، 1992.
6. أبو الحسن أحمد ابن فارس الرازي: مقاييس اللغة تح عبد السلام بن هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
7. أبو الفتوح محمد توانسي، ياقوت الحموي الجغرافي الرحالة الأديبة، الهيئة المصرية العامة القاهرة، ط2، 1970 .
8. أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي، أحياء علوم الدين ج2، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1986.
9. أبو فضل جمال الدين محمد محرم بن منظور: لسان العرب، دار صاد، بيروت، ط1، 1990.
10. أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، د.ط، 1349ه.
11. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيبى من غصن الأندلس الرطيب، ج1، د.ط، د.ت.
12. أحمد طالب جماليات المكان في القصة الجزائرية القصيرة، دار المغرب للنشر والتوزيع، د.ط، 2005.

13. أحمد مختار العبادي، في التريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1971.
14. أسماء أبو بكر: ابن بطوطة الرجل والرحلة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.
15. إسماعيل المولى، أدب الرحلة والتواصل الحضاري سلسلة الندوات، مطبعة فضالة المغرب، د.ط، 1993.
16. أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر صلاح الدين عثمان هاشم، ج1.
17. الخليل أحمد الفراهيدي، كتاب العين ج3، دار الكتاب العلمية بيروت، ط1، 2002.
18. السيد حامد نساج، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، مكتبة غريب القاهرة، د.ط، د.ت.
19. المسعودي أبو الحسين علي بن حسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 1425ه/2005م.
20. بطرس البستاني، دائرة المعارف، مج8، مطبعة المعارف، بيروت، د.ط، 1884.
21. بييرجوردا، الرحلة إلى الشرق (رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر، ترمي عبد الكريم علي بدر، الأهالي للطباعة، ط1، 2000.
22. جريفيت وتايلور وآخرون، الجغرافيا في القرن العشرين، تر محمد السيد غلاب ومحمد مرسي، ج2، القاهرة، د.ط، 1974.
23. جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي دار الزنبقة القاهرة د.ط، 2014 م.
24. جوزيف بتس (الحاج يوسف)، رحلة جوزيف بتس، تر عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية القاهرة، د.ط، 1995.
25. حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1973.

26. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، مطبعة الرسالة الكويت، د.ط، 1989.
27. حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1980.
28. داود سلوم النقد المنهجي عند الجاحظ، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1960.
29. رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريس، كلمات عربية القاهرة
30. زكي محمد حسين، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي بيروت، د.ط، 1981م.
31. سعيد بن سعيد العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة: صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
32. سعيد علوش: معجم المصطلحات العربية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1405ه/1985.
33. شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس آلية الكتابة خطاب المتخيل، دار رؤيا للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 2006.
34. شوقي ضيف، الرحلات دار المعارف القاهرة، ط4، د.ت.
35. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر، الهيئة المصرية القاهرة، ط2، 1998
36. عبد الفتاح محمد وهيبة، جغرافية المسعودي بين النظرية والتطبيق، من الأدب الجغرافي في التراث العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، 1415ه/1995م.
37. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ط، 1968.
38. عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، مج1، دار السويدي، أبوظبي، ط1، 2006.
39. عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، د.ط، 1983.
40. عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، د.ت.

41. عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، د.ط، 1996.
42. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، دار العربية للكتاب القاهرة، د.ط، د.ت.
43. ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، تر عبد العزيز جاويد، ج1، الهيئة المصرية العامة القاهرة، ط2، 1995.
44. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: المحيط ج3، دار الجيل، بيروت، ط3، د.ت.
45. مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان بيروت، ط2، 1984/1944.
46. محمد التونجي: معجم المفصل في الأدب ج1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2، 1999.
47. محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، منشورات بونة، الجزائر، ط1، سبتمبر، 2007.
48. محمد بن أحمد المقدسي، رحلة المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، دار السويدي أبوظبي، ط1، 2003.
49. محمد بن سعود بن عبد الله الحمد موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة دار الكتب، الوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1428ه/2007م.
50. محمد بن عثمان مكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد علي الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، د.ط، 1965.
51. محمد لبيب البتنوني، رحلة الأندلس، مؤسسة الهنداوي، مصر القاهرة، ط1، 2014.
52. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، ج5، حكومة الكويت، د.ط، 1389ه/1967.
53. محمد مسعود جبران، فنون النثر الأدبي في أثار لسان الدين بن خطيب، مج2، دار المدار الثقافية، ط1، 2009.

54. محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، د.ط، 1966.
55. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات مصر، د.ط، د.ت، نقولا زيادة الجغرافيا والرحلات عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1980.
56. نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.
57. أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، الشركة التونسية ،د.ط، د.ت.
58. أنيس منصور، أعجب الرحلات في التاريخ، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1972.
59. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.

المجلات و الدوريات:

1. أنجيل بطرس، الرحلات في الأدب الانجليزي، مجلة هلال ع7، القاهرة، 1975.
2. حسين فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ع138، الكويت، يونيو1989.
3. نبيل راغب، أدب الرحلات، مجلة الفيصل 1988، الرياض المملكة العربية السعودية، تموز "يوليو" 1984.
4. سميرة أتساعد، الرحلة إلي المشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني، مجلة التراث العربي: مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، س24، آذار2005.
5. سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، يناير1987.
6. هلال بن ناجي، هوامش على رحلة ابن بطوطة، مجلةأكاديمية، المملكة المغربيةع18، 2001.
7. فردوس أحمد بت، أهمية أدب الرحلات، مجلة اللغة، ع2، يناير/مارس 2016.

المذكرات:

1. عبد الله بن أحمد بن حامد آل حمادي، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، مخطوط ماجستير، جامعة أم القرى ،1418ه.
2. جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، سنة 2015/2014.
3. صطاف فاتح، أثر أدب الرحلة في التعارف بين الحضارات، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، 2014/2013.
4. شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة الرحلة نسيج الواقع والخيال، رسالة ماجستير، الجامعة الأميريكية، بيروت، لبنان، حزيران 2003.
5. لبنى لونانسة، النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين 7 و8ه، مذكرة ماجستير جامعة باتنة، 2014/2013.

- **المواقع الالكترونية:**

- محمد أفرخاس، رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، يناير2016.
- www .philadelphia.edu.jo.aferkhas.

فهرس الموضوعات